

ملف المستقبل

العدد ١١

روايات
قصصية للجيب



الجمولة الأخيرة

Looloo

www.helmelarab.net



١- أكثر من فحّ ..

الرَّعب ..

ذلك هو الشعور ، الذي تشارك فيه كل أفراد فريق
(نور) ، في تلك الليلة ، التي تبدأ بها الأحداث هذه المرة ..
الجميع حملوا نفس الشعور ..

وفي نفس اللحظة ..

كلهم حملوه في مواجهة خطر مخيف ..
خطر يتجاوز كل قواعد العلم ، الذي نشأ فريقهم
لحمايته ..

خطر أتى من أعماق أعماق الجحيم ..

خطر شيطاني ..

الجميع في نفس اللحظة ، وفي ثلاثة أماكن متفرقة ، كانوا
يتطلعون إلى عيون نارية ..

عيون يطل منها هيب الجحيم ..

عيون شيطان ..



سلوى



نور الدين



محمود



رمزي

الجميع في نفس اللحظة ، دارت في رؤوسهم فكرة
واحدة ..

كيف بدأ الأمر ؟ ..!

كيف ؟ ..!

البداية كانت أسطورة ..

أسطورة قديمة قدم الدهر ..

عتيقة كالأزل ..

أسطورة أهملها تاريخ الأساطير ، حتى أنها انزوت في
النهاية ، وانكششت في ركن مُهمل ، في كتب الأساطير ..

أسطورة تقول إن الشيطان قد هبط إلى الأرض ، خلف
(آدم) و (حواء) ونسلهما ، بعد أن نجح في إغرائهما
بتناول الثمرة المحرمة ، وتسبب في طردهما من الجنة ..

هبط ليواصل معركته مع نسلهما ..

لينتصر ..

ليسود ..

وحقق الشيطان انتصاره الأول ، عندما أغرى (قابيل)

بقتل شقيقه (هابيل) ..

وعرف نسل (آدم) القتل ..

وعرف الشرور ..

وعُبر الأجيال ، راح الشيطان يثُ شروره ، ويؤسوس
بالفساد ، لكل من وجد في قلبه مَرَضًا ..

حتى حانت لحظة ، تمنى فيها الشيطان لو كان إنسيًا ..

لحظة حسد فيها البشر ؛ لأنهم يملكون فرصة التوبة ..

وفي تلك اللحظة ، قرّر أن يكون له ولد من بينهم ..

وفي صورة بشرية ، هبط الشيطان إلى الأرض ، وتمثّل
لواحدة من بنات (حواء) ، وأغراها بحبه ، فعشقتة ،
وتزوّجته ..

وأنجبت ابنها وابنه ..

(ابن الشيطان) ..

نصف آدمي ونصف شيطان ..

له ملامح بشر ، وصفات شيطان ..

خالد كأبيه ..

سافل كبني جنسه ..

حقير كالشياطين ..

وعُبر العصور والتاريخ ، راح (ابن الشيطان) ينتقم من
بني البشر ..

وحقق له الصراع عشرات الانتصارات ..
وكتب عليه مئات الهزائم ..

وفي آخر معاركه على سطح الأرض ، منذ ما يقرب من
نصف القرن ، تصدى له جد (نور) ، وكشف نقطة ضعفه ،
وهزمه ..

وعاد (ابن الشيطان) إلى جحيم أبيه وقومه ، وترك خلفه
قرصاً صغيراً ، يحوى نقوشاً عجيبة ، هى اسم الشيطان ، بلغة
أهل الجحيم ..
تلك اللغة المجهولة ، التى لا يعرفها قاموس أو مرجع ،
والتي لا يقرؤها ، ولا ينجح فى قراءتها إلا الثعساء
والجرمون ..

وهكذا بدأت معركة مع (نور) ..

المعركة الحقيقية بدأت منذ آلاف السنين ، عندما كان
الشيطان الابن يحمل اسم (ست) ، وأكبر أجداد (نور)
يحمل اسم (أوزيريس) ، فى تلك الملحمة الشهيرة ، التى
نقلها إلينا تاريخ أجدادنا القراعنة ..
وفى تلك المعركة اندحر (ست) ، إله الشر ، ونال هزيمة
نكراء ، تردّد صداها طويلاً عبر الأجيال ..

وكالنعاء ، ذلك الطائر الخرافى ، عاد الشيطان الصغير
إلى الأرض ، بعد أن قرأ آدمى ملعون اسم أبيه ، المنقوش على
قرص اللعنات ..

وظلّ طيلة عمره يقاتل نسل (أوزيريس) ، حتى هزمه
جدّ (نور) ، أحد أحفاد (أوزيريس) ..

وذاث ليلة من ليل القرن الحادى والعشرين ، بعد نصف
قرن من هزيمة (ابن الشيطان) ، قرأ مهندس جيولوجى اسم
أبيه ، بلغة الجحيم ، بعد أن عثر رجاله على القرص الملعون ، فى
إحدى حفريات البحث عن البترول ..

وعاد (ابن الشيطان) إلى الأرض ..

وفى تلك الليلة نفسها ، رأى (نور) روح جدّه فى حلمه ،
ترشده إلى رسالة مخيفة فى منزل الجدّ الريفى ..

وذهب (نور) و (سلوى) إلى هناك ..

وعثرا على الرسالة ، التى تحوى رسماً للقرص بنقوشه ،
وعبارة تقول : « النار وحدها تغسل الشرور » ..

وبعدها بدأ الشيطان الابن انتقامه ، وبأبشع صورة ..

وفى منزل (نور) ، راحت صباير المياه تلقى الدم ، بدلاً
من الماء ..

الأثاثات انبعثت فيها حياة زائفة ..

والتف الرعب حول كل شيء ..

وأصيبت (سلوى) ، وفقدت (نشوى) وغيتها ..

ولجأ (نور) إلى الدكتور (محمد حجازى) ، يسأله

المشورة ، كرجل شديد الاهتمام بعلوم ما وراء الطبيعيات ..

وفي منزل (نور) ، جرت جلسة لتحضير الأرواح ،

بواسطة الوسيط الروحانى الأشهر ، الدكتور

(عبد الجليل) ..

وفي تلك الجلسة ، رأى (نور) والدكتور (حجازى)

والدكتور (عبد الجليل) الأهوال ..

لقد انشقت الأرض ، وبرزت منها أيدي ماردة بشعة ، راحت

تعتصر الجميع ..

وهاجمهم كيان أسود رهيب ، التهم الدكتور

(عبد الجليل) ..

ثم سقط (نور) والدكتور (حجازى) فى كهف شيطانى

رهيب ، ليس له من مخرج

وفي نفس الوقت ، كان الشيطان الابن قد حقن بعضاً من

دمائه ، فى عروق (نشوى) ، بواسطة معاون آدمى ، وهو

صحفى فاشل خائن ، يدعى (صفوت) ، حدد له الشيطان

الابن مهمة واحدة لا غير ..

وهكذا انتهت الجولة الأولى لصالح الشيطان الصغير ..

لصالحه تماماً .. (*)

وفي الجولة الثانية ، نجح (نور) والدكتور (حجازى)

فى الخروج من الكهف الشيطانى ، وعلم (نور) بما أصاب

ابنته ، التى تحولت إلى نصف شيطانة ، تمتلك قوة رهيبة ،

لا قبل للبشر بمواجهتها ..

وكان على (نور) أن يبحث عن مساعدة أكثر قوة ، على

الرغم من أن (عبد الجليل) قد عاد حياً ..

ولجأ (نور) ، بعد استشارة الدكتور (حجازى) ، إلى

الدكتور (عزيز) ، أكبر علماء ما فوق الطبيعيات ، علماً

وسناً ..

وهنا فقط أدرك (نور) من يقاتل ..

(*) راجع قصة (ابن الشيطان) .. (الجزء الأول) .. المغامرة

لقد أخبره الدكتور (عزيز) باسم عدوه ، وأسطورته ،
كما تعرف القرص الملعون ، وأخير (نور) والدكتور
(حجازي) بمعنى النقش الجهنمي ، وأضاف إلى ذلك أنه كان
صديقاً لجده (نور) ، الذي هزم الشيطان الابن قديماً ..
ولكن الدكتور (عزيز) لم يكن يعرف نقطة ضعف (ابن
الشيطان) ..

وعلى الرغم من ذلك ، فقد منح (نور) قتيبة صغيرة ،
تحتوي ماءً مباركاً ، من بئر (زمزم) ، وطلب منه حقنها في
دماء ابنته ، لتخلص تماماً من الدماء الشيطانية ، على أن يم
ذلك قبل الفجر ..

وفي هذه الأثناء ، كان الشيطان الابن قد اختطف
(نشوى) ، وحملها إلى منزل الجده ، حيث لحق به (نور) ..
وهناك كان على (نور) أن يقاتل ابنته ، التي يسيطر عليها
الشيطان تماماً ..

وكان الصراع مريراً حقاً .. (*)

(*) راجع الجزء الثاني (مبعوث الجحيم) .. المغامرة رقم (٧٣) .

وفي بداية الجولة الثالثة ، هزم (نور) (ابن الشيطان) ،
واستعاد ابنته ..

لقد استتج نقطة ضعف عدوه ..
لقد كانت النار ..

صحيح أن الشيطان الابن من نار ، ولكن النار تهزمه
وتدحره ..

تماماً مثلنا ..

نحن من طين ، ولكن الطين يلوّثنا ويؤلّنا ..
وانهزم الشيطان الابن ..
واحرق ..

وعندما كان يتلاشى ، هتف بعبرة واحدة ..
« سأعود » ..

وقبل الفجر بلحظات ، حقق (نور) ابنته بماء زمزم ،
وأنقذها من دماء الشيطان ..

وتلاشى الشيطان الصغير ، وترك خلفه ذلك القرص
المنقوش الملعون ، الذي نقله (نور) إلى إدارة البحث
العلمي ، التابعة للمخابرات العلمية المصرية ، ليحشوا عن
وسيلة لتدميره ..

ولكن القرص كان منيعاً حقاً ، وما من وسيلة أرضية
لتدميره ..

وبينما كان (نور) يقيم حفلاً في منزله ، احتفالاً بشفاء
زميله (رمزي) و (محمود) ، من إصابتهما في مغامرة
سابقة^(*) ، كان (صفوت) ، ذلك الصحفي الخائن العميل
يقتحم إدارة البحث العلمى ، مزوّداً برداء شيطانى منيع ،
وسلاح مدّمّر رهيب ..

واستعاد صنيعه الشيطان الابن ذلك القرص الملعون ، بعد
أن ترك خلفه قدرًا مخيفًا من التخريب والدمار ..
وفي منطقة نائية ، بدأ صفوت طقوس إعادة الشيطان
الابن ..

وعاد ..
عاد الشيطان الصغير إلى الأرض ، ليواصل انتقامه
وشروره ..

وكان أول ما فعله هو أن قتل (صفوت) ..
قتل الآدمى ، الذى أعاده إلى الحياة ..

(*) راجع قصة (الستار الأسود) .. المغامرة رقم (٧٠) ..

وبدأ الرعب مرّة أخرى ..

وتحوّل حفل (نور) إلى ملحمة رُغب رهية ..
مقاتل رومانى قديم ، عاد كهيكل عظمى لينتقم من
(نور) ، الذى هزمه في حياة سابقة ..

الجميع انتقلوا إلى جزيرة نائية ، في قلب المحيط ..
سرطانات بحر بأعداد هائلة ، كادت تلتهمهم جميعًا ..
ثم انتهى كل شيء بغثة ..

وأدرك الجميع أن الشيطان الابن قد عاد ..
وأنها الجولة الأخيرة حتمًا هذه المرّة ..

وافترق الجميع ، بعد أن أخبرهم (ابن الشيطان) أنه
سيقتلهم جميعًا ، قبل أن ينهى صراعه مع (نور) ..

وفي تلك الليلة ، التى نتحدث عنها ، وبعد أقل من ساعة ، من
انصراف الجميع من منزل (نور) ، بدأ الشيطان الابن انتقامه ..

كان الدكتور (حجازى) والدكتور (عزيز) في
طريقهما إلى منزل الأخير ، الذى يقع في منطقة قديمة
مهجورة ، لا يقطنها سواه ، على مشارف مدينة (القاهرة)
القديمة ، عندما تعطلت سيارة الدكتور (حجازى) ..

وعندما هبط ليفحصها ، أحاطت بهما قطعان الذئاب ،
وكلها كانت تحمل عيني الشيطان الابن ..

تلك العينان الملتهتان ..

وفي نفس اللحظة كان (رمزي) و (محمود) يواجهان
تَيْنَا أسطوريًا مخيفًا ، ينفث من بين فكّيه النيران ..
وكانت له نفس العينين ..

عينا الشيطان ..

أما (نور) و (سلوى) و (نشوى) ، فقد كانوا
يواجهون قطعانًا لا حصر لها من الفئران ..
فئران بالمشات ، برزت من كل مكان ..
وكلها لها نفس العيون الشيطانية الرهيبة ..
وكان من الواضح أن الشيطان الابن قد قرّر إنهاء المعركة كلها ..
سيضرب الجميع ضربة واحدة ..

نعم ..

كانت هذه هي خطته ..

أن تنتهي المعركة على نحو مبهر ، يعيد إليه كرامته وهيبته ،
بين بني جنسه من الشياطين ..
كانت هذه معركة الأخيرة ..
وجولته الأخيرة (*)

(*) راجع الجزء الثالث (الصراع الجهنمي) .. المغامرة رقم (٧٤)

٢ — الهجوم ..

تجمّد الدكتور (حجازي) في مكانه ، وهو يدير عينيه بين
عشرات العيون النارية ، والأبواب البارزة ، لقطيع الذئاب ،
الذي يحّدق فيه على نحو وحشي مخيف ، في حين لم يلبث الدكتور
(عزيز) أن طرد مخاوفه ورُعبه ، ونفضهما جانبًا ، مع ذلك
الفضول العلمي الشديد ، الذي سيطر على كل حواسّه ، وهو
يراقب ذلك القطيع من الذئاب ، الذي سيطر عليه الشيطان
الابن تمامًا ، وغمغم في اهتمام ، وهو يفتح زجاج السيارة المجاور له :
— من المثير حقًا أنه يستطيع السيطرة على كل هذا العدد .
ضغط الدكتور (حجازي) أسنانه ، وهو يقول في
خُفوت وتوتر :

— أغلق زجاج السيارة يا دكتور (عزيز) ، وكفّ عن
تساؤلاتك العلمية هذه ، فنحن نتعرّض لخطر الموت .
أغلق الدكتور (عزيز) زجاج السيارة في بطاء وخذر ،
وهو يقول :

— ألا تحمل سلاحًا ؟

تمم الدكتور (حجازى) فى توثر :

— إننى أحمل مسدسًا ليزريًا ، ولكنه لن يفيد ، فمهما بلغت براعتى ، فلن أصيب سوى ثلاثة أو أربعة من تلك الذئاب ، وبعدها ستنهشنى مخالب الباقيين وأنياهم .
تمم بهذا ، وهو يتحرك فى بطء نحو باب السيارة ، حتى يستطيع الاحتواء داخلها ، قبل أن تواجه الذئاب ..
ولكن جسمه انتفض فجأة فى رُغب ، عندما سمع الدكتور (عزيز) يهتف فى دُغر :

— احترس من خلفك .

استدار الدكتور (حجازى) فى حركة حادة عيفة ، والتفت عينان بتلك العينين الناريَّتين للذئب ضخم وحشى ، ينقضُّ عليه من الخلف ..

وإثر حركته الحادة ، بدأ الهجوم ..

وانقضَّت الذئاب كلها فى آن واحد ..

بدا الزمن ، بالنسبة لـ (رمزى) و (محمود) ، وكأنهما قد توقَّف تمامًا ، أو لم يعد له وجود ، وهما يحدقان فى ذلك التَّين الأسطورى ، الذى يقف أمامهما متحفِّزًا إلى أن غمغم (محمود) فى رُغب :

— أوهم هو أم حقيقة يا (رمزى) ؟

أجابه (رمزى) فى توثر رهيب :

— لو سألتنى رأيًا منطقيًا ، فهو حتمًا نوع من الوهم ، إذ أن التَّين كائن أسطورى خرافى ، أما لو أنك تسألنى شعورى ، فهو حقيقة لا ريب .

تراجع عُنق التَّين الطويل ، فى تلك اللحظة ، وصدر من خلفه فحيح مخيف ، أعقبه انطلاق لسان من اللهب ، لفحت حرارته وجهى : (رمزى) و (محمود) ، فهبَّ الأول من مقعده ، وهو يهتف :
— إنه حقيقة .

تراجع (محمود) فى رعب ، هاتفا :

— يا إلهى !! .. رُحماك !!

صاح (رمزى) ، وهو يقفز جانبًا ، محاولًا بلوغ سلاحه الليزرى :

— تُرى .. هل تفلح نظرية إطلاق النار على العين هذه

المرَّة ؟

ولكن فحيحًا جديدًا انطلق من حنجرة التَّين ، مع لسان رفيع من اللهب ، أصاب مسدس (رمزى) فى دقَّة ، وأحاله فى لحظة واحدة إلى كومة من المعدن الذائب ، فراجع (رمزى) فى دُغر ، وحدَّق فى عينيَّ التَّين الملتهتين ، فى حين هتف (محمود) :

— ماذا نفعل الآن ؟

وقبل أن ينطق (رمزي) بحرف واحد ، كان الثنين ينفث
لساناً حاداً من اللهب ، نحو هدف جديد ..
وفي هذه المرة كان الهدف هو (رمزي) ..

صرخت (سلوى) في رُغب ، وشهقت (نشوى) في ارتياح ، على
حين انعقد حاجبا (نور) في سخط وتوثر ، والثلاثة يحدّقون في عيون
مئات الفئران ، التي برزت في كل ركن من أركان المنزل ، وراحت
تتطلع إليهم بعيونها الملتهية في وحشية ، وقد بدت أنيابها الحادة
الصغيرة كمئات الإبر السامة ، التي تتحفّز للقفز في الوجوه ..
وفي رُغب هائل ، تشبّثت (نشوى) بأبيها ، وهي تقول :
— أفي .. إنهم سيلتهمونا .

امتدّت يد (نور) نحو مسدّسه الليزري في بقاء وخدر ،
وهو يقول في توثر بالغ :
— أظنهم سيحاولون .

تشبّثت به (سلوى) بدورها ، وهي تقول في رُغب :
— وما الذي سيمنعهم من التهامنا لو حاولوا يا (نور) ؟
إنهم قطعان لا حصر لها ، وحتى لو أطلقت عليهم مسدّسك
الليزري ، فسينضب مخزن طاقته ، قبل أن تقتل عُشرهم ،
بفرض وجود الوقت الكافي لفعل .



تراجع عنق الثنين الطويل ، في تلك اللحظة ، وصدر من خلفه فحيح مخيف ..

التقط مسدسه الليزرى ، وهو يقول فى حزم :

— سأكون قد قاومت على الأقل .

بكت (نشوى) فى انهار ، وهى تقول :

— لا يمكننى تصوّر ذلك .. لا يمكننى تخيل أن تنتهى حياتى

فى معدة فأر حقير .

هتفت (سلوى) فى ألم ومرارة :

— لا تقولى ذلك يا (نشوى) .. لا تذكره .

عقد (نور) حاجيه ، وهو يقول :

— لن أسمح لتلك الحيوانات القذرة الصغيرة بافتراسنا ،

حتى لو اقتضى الأمر أن أقتلكما ، قبل أن تمس أنيابها جسديكما .

وفجأة ، بدأ أحد الفئران يُطلق صوته الحاد الرفيع ، ثم

تبعته عدة فئران أخرى ، وأخرى .. وأخرى ، حتى أصبح

المنزل كله يمجج بتلك الأصوات الحادة ، التى بدت هادرة مع

اجتماعها ، مثيرة للأعصاب ، فصرخت (نشوى) ، وهى

تحاول إغلاق أذنيها بكفيها فى قوة :

— كفى .. كفى .. لم أعُد أتحمل .

ولكن الصوت الرهيب كان يتسلل إلى عظامها ..

إلى خلاياها ..

إلى عقلها ..

وانهارت (سلوى) بدورها ، وهى تهتف فى مرارة :

— إنها النهاية يا (نور) .. إنها النهاية .

صرخ (نور) :

— كلاً ..

ثم أطلق أشعة مسدسه الليزرية على أقرب الفئران إليه ..

وسقط الفأر صريعاً ..

وتعالى الصوت الرهيب الخيف ..

وسقط فأر ثان ..

وثالث ..

ورابع ..

وخامس ..

وفى كل مرة كان الصوت الرهيب يرتفع ويرتفع ..

ثم فجأة توقّف الصوت دفعة واحدة ، وساد سكون

رهيب ، قطعه (نور) وهو يغمغم فى خيرة :

— ماذا حدث ؟

وكأنما كانت كلمته الحائرة هى إشارة البدء ، فلم يكذب

حروفها ، حتى بدأت الفئران هجومها فى آن واحد ..

وزحف نهر الموت ..

٣ - القتال ..

كانت انقضاضة الذئب مصحوبة بزئير قوى ، ارتجعت له المنطقة ، وانتفضت له جدران البيوت القديمة المتهالكة ، وهاوى له قلبا الدكتور (حجازى) والدكتور (عزيز) رعباً ، وصرخ الأخير ، وهو يشاهد ذلك الذئب الضخم ينقض على الدكتور (حجازى) :

— يا إلهى !!.. هل ستسمح للشيطان الابن بهزيمتنا ؟
أما الدكتور (حجازى) ، فقد لعن تلك الكمية الزائدة من الشحوم تحت جلده ، وهو يقفز جانباً ، وشعر بمخالب الذئب الحادة تمزق كم سترته ، ويبلغ بعضها لحم ذراعه ، قبل أن يتجاوزها الذئب ، ويرتطم بمقدمة السيارة ، فى نفس اللحظة التى قفز فيها ذئب آخر ، نحو الدكتور (حجازى) ، الذى أسرع يحاول القفز داخل السيارة ، وانحنى فى رُعب ، ليُعبّر الذئب الثانى فوق رأسه ، قبل أن يلقى جسده داخل السيارة ..

وقبل أن يُغلق باب السيارة ، انقضّ ذئب ثالث على ساقه ، وغرس أنيابه الحادة فيها ..

وأطلق الدكتور (حجازى) صرخة ألم ورُعب رهيب ، رددت المنطقة الخاوية صداها فى قوة ، قبل أن يصرخ الدكتور (عزيز) :

— مسدسك الليزرى .. استخدم مسدسك .
وبسرعة ، التقط الدكتور (حجازى) مسدسه الليزرى من جيب سترته ، وأطلق أشعته دون تفكير على رأس الذئب ، الذى أطلق عواءً رهيباً ، قبل أن ينتزع أنيابه من ساق الدكتور (حجازى) ، ويدور حول نفسه ، ثم يسقط جثة هامدة ..
وأغلق الدكتور (حجازى) باب سيارته فى إحكام ، ثم جلس يلهث ويتأوه ، على حين بدا له وقع أرجل الذئب كطلقات النيران ، وهى تتقاذف فوق سطح السيارة ، وتحمش جسمها بمخالبها ، فى حين برزت وجوه ذئاب أخرى أمام الزجاج الأمامى للسيارة ، وهى تكشر عن أنيابها ، وتزجر فى وحشية ، والزبد يتساقط من بين شداقيها ، واللهب يضوى فى شراسة من عيونها ..

وغمغم الدكتور (عزيز) فى ارتياح :

— ماذا سنفعل؟! إنه يسيطر عليها سيطرة تامة .

زفر الدكتور (حجازى) فى قوة ، وهو يغمغم :

— هل تسألنى؟!!

ثم عاد يضغط أزرار إدارة المحرك فى عصبية ، قبل أن يستطرد :

— لقد توقّف ذلك المحرك اللعين تمامًا ، وهذه أول مرّة يحدث فيها هذا ، بالنسبة لتلك السيارات الصاروخية الحديثة ، التى تعمل بواسطة نظائر الراديوم المشعة(*) .

غمغم الدكتور (عزيز) :

— لائس أن الذى يدير المعركة مخلوق يتجاوز كل العلوم التى نعرفها .

لّوح الدكتور (حجازى) بكفّه ، وهو يقول فى توثر :

— دَعك منه الآن ، وانظر ما الذى تفعله هذه الذئاب .

(*) النظائر : أنواع لعنصر ما ، تتطابق معه فى النشاط الكيميائى ، وتختلف بعضها عن بعض فى الوزن الذرى ، ومن أكثر أنواعها شيوعًا الكلور ، حيث يتكوّن من نظيرين ، وزن أحدهما الذرى (٣٥) ووزن الآخر (٣٧) .

عقد الدكتور (عزيز) حاجبيه الأشيبين الكثّين ، وهو يتطلّع إلى تلك الذئاب ، التى ابتعدت عن السيارة ، ووقفت على هيئة صفّ منتظم أمامها ، وغمغم بدوّره فى مزيج من الخيرة والتوثر :

— حقًا!.. ما الذى تفعله تلك الذئاب؟!!

وفجأة ، أتاها الجواب ..

لقد انفصلت الذئاب ، واحدًا بعد الآخر ، عن الصفّ ، وراح كل منها يعدو نحو السيارة ، ثم يقفز معتليًا مقدّمها ، ويلقى بجسده كله على زجاجها ، ثم يعود إلى الصفّ ، حيث يلقي آخر جسده على الزجاج ..

وصاح الدكتور (عزيز) فى رُغب :

— ماذا يفعلون ؟

أجابه الدكتور (حجازى) ، وهو يلتصق بمقعده فى هلع :

— إنهم يحاولون تحطيم الزجاج ، ليدلفوا إلى السيارة ، ويفترسوننا .

امتقع وجه الدكتور (عزيز) ، وهو يسأله :

— وكم سيحتمل الزجاج ؟

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه ، وقال :

— لست أدري .. إنه من نوع مقاوم للكسر ، ولكنه لن
يحمل تلك الضربات المتتالية طويلاً .

انعقد حاجبا الدكتور (عزيز) في شدة ، وهو يقول :
— أتعنى أن هذه الحيوانات تستطيع الانتصار ؟

غمغم الدكتور (حجازي) في توثر بالغ :

— إنني أرتجف هلعاً ، كلما تصوّرت ذلك .

هتف الدكتور (عزيز) في صرامة :

— ولكننا لن نستسلم .

غمغم الدكتور (حجازي) في عصبية ، وهو يتابع
انقضاضات الذئاب المتتالية على زجاج السيارة :

— وما الذي يمكننا أن نفعله ؟

قال الدكتور (عزيز) في حزم :

— إنك تملك مسدساً ليزرياً .. أليس كذلك ؟

هتف الدكتور (حجازي) في خنق :

— وفيما يفيدنا ذلك ؟

ابتسم العجوز في حُبث ، وهو يقول :

— قد لا يفيدك ، عندما تكون خارج السيارة ، ولكنك

الآن تحمي داخلها ، ويمكنك أن تستغل أهم خواص الليزر ،



وراح كل منهما يعدو نحو السيارة ، ثم يقفز
محتلياً مقدمتها ، ويلقى بجسده كله على زجاجها ..

ألا وهى أنه عبارة عن شعاع ضوئى ، يسير فى خطوط مستقيمة (*)

تطلع إليه الدكتور (حجازى) فى دهشة ، وهو يغمغم :
— ماذا تعنى ؟

أشار الدكتور (عزيز) إلى المباني المهتدمة حولهما ، وقال :

— انظر .. ستجد حولك أطنانا من الأخشاب القديمة الجافة ، التى شارفت البلى ، والتى لن يهتم أحد باحراقها ، بالإضافة إلى أن أشعة الليزر يمكنها أن تمضى عبر الزجاج ، دون أن تغادر السيارة ، وتصيب أهدافها فى إحكام .

(*) ليزر : كلمة (ليزر) (Laser) ، هى اختصار الحروف الأولى لمعنى الليزر بالإنجليزية ، وهو عبارة نصها :
« Light Amplification Using Stimvlated emmesion of Radiation ».

ومعنى هذه العبارة هو : « التكبير الضوئى ، باستخدام حزمة إشعاعية مستحثة » .. ولقد نشأت فكرة الليزر من نظرية تنبأت بها ميكانيكا الكم ، وتقول إنه من الممكن أن تتضاعف شدة الضوء (الامتصاص السالب) ، إذا ما عبر ياقوتًا ، أو خليطًا من غازى (الهيليوم) و (النيون) ، فينتقل فى خطوط مستقيمة ، دون أن يتفرق أو يتشتت .

تألفت عينا الدكتور (حجازى) ، وهو يهتف :
— نصد ان ؟

قاطع المعجوز فى حزم :
— بالطبع .. هذا ما أقصده .. هيا .. أطلق أشعتك يارجل ، ودعنا نحط تلك الحيوانات بدائرة من النيران .. هيا .

تهللت أسارير الدكتور (حجازى) ، وهو يهتف :
— يا إلهى !!.. أنت على حق .
وصوب مسدسه نحو إطار خشبى قديم ، على بعد أمتار منه ، وأطلق الأشعة ..

يدين (رمزى) بفضل نجاحه فى تلك الليلة المشثومة ، لرد فعل بدائى بسيط ، تبعته فى النفوس غريزة البقاء ..
ذلك الذى دفعه إلى أن يلقي جسده كله جانبًا ، متفاديا لسان اللهب ، الذى كان يقصده مباشرة ، ثم يهتف فى دُعر :
— لنبعد يا (محمود) .. بسرعة .

انطلق الاثنان يَعدّوان إلى حجرة بعيدة ، فى نهاية المنزل ، وراح التّين الأسطورى ينقل أقدامه الثقيلة خلفهما فى بطء ، وهو يصدر فحيحه الخفيف ، ويطلق ألسنة اللهب ..

وقفز الإثنان داخل الحجره ، وأغلقاها خلفهما في
إحكام ، وراح (محمود) يلهث في قوّة ، وهو يهتف :

— يا إلهي !!.. أيّة قوّة نواجه ؟

قال (رمزي) في خنق :

— بل قل أي عبث شيطاني ؟

لم يكذب يتم عبارته ، حتى راحت السنة اللهب تضرب باب
الحجره من الخارج ، وبدت حرارته وكأنها تخرق كل
العوازل ، وتحيل جو الحجره المغلقة إلى جحيم ، فلفّت
(رمزي) حوله ، ثم هتف في سُخط :

— أي مهندس هذا ، الذي صمم هذه الحجره بلا نوافذ ؟

أجابه (محمود) في توثر :

— كان المفروض أن يعزلها عن هذا المنزل تمامًا ، فهي
الحجره التي أجرى فيها تجاربي الإشعاعية ، وهي تعتمد على
نظام تهوية خاص ، بدلاً من النوافذ التقليدية .

لوح (رمزي) بذراعيه ، وهو يقول في حدة :

— رابع .. لا تنس أن تكتب ذلك على قبرنا .

رأى عليهما صمت مخيف ، استغرق بضع لحظات ، قبل أن

يمسك (محمود) كتف (رمزي) في قوّة ، وهو يقول :

— قل لي يا (رمزي) ، أنت والى من أن إصابة أي من
تلك المخلوقات في عينه ، يذهب أثره .

هزّ (رمزي) كتفيه ، وغمغم :

— هذا ما حدث مع (نور) ، في كل المرات .

عقد (محمود) حاجبيه ، وهو يقول :

— الأمر يستحق المحاولة إذن .

سأله (رمزي) في اهتمام مشوب بالقلق :

— ماذا نغني ؟

اتجه (محمود) نحو أحد أدراج مكتبه ، وهو يقول :

— أغني أنه ربما كانت لدينا فرصة .

التفت (رمزي) إلى الباب ، الذي بدأ يذوب ~~في~~ السنة

اللهب ، وقال في توثر ملحوظ :

— كيف ؟

التقط (محمود) من درج مكتبه مسدسًا قهبيًا ، من ذلك

النوع الذي يُخشى بالرصاصات ، وقال :

— إن لدينا هذا ، مع رصاصة واحدة .

تمم (رمزي) مشدوها .

— واحدة ؟!



أجابه (رمزي) في ياس ، وهو يتطلع إلى
الباب ، الذي انهار تحت وطأة النيران ..

ثم لم يلبث أن استطرد في عصبية :
— من أين حصلت على هذا الشيء ؟
أجابه (محمود) ، وهو يفحص المسدس :
— إنه يخص والدي .. كان يستخدمه قديماً ، قبل انتشار
مسدسات الليزر .

هتف (رمزي) :
— وماذا ستفعل به ؟
هز (محمود) كتفيه ، وقال :
— إنه السلاح الوحيد الذي نملكه ، وعلينا أن نحاول
استغلاله .

أجابه (رمزي) في ياس ، وهو يتطلع إلى الباب ، الذي
انهار تحت وطأة النيران ، وإلى رأس التين ، الذي برز داخل
الحجرة :

— أظنك على حق .
وبسرعة ، أدار (محمود) فوهة مسدس والده نحو عين
التين ..
وأطلق النار ..

أطلقت (نشوى) صرخة مدوية ، مع هجوم جحافل
الفران ، وراحت تضرب المخلوقات الصغيرة بقدمها في
رُعب ، مثلما يفعل والدها ، إلا أنه بدا لها وكأن كل فأر
تركه ، يصطحب معه في الهجمة التالية خمسة فران ، وأن
أعداد المهاجمين تتضاعف في سرعة مذهلة ..

وصرخ (نور) :

— اصعدا فوق أية منطقة مرتفعة .. أسرعاً ..

قفزت (سلوى) فوق الموقد ، ومدّت يدها تجذب ابنتها
في هلع ، وهي تهتف بزوجها ، الذي راح يركل جيوش
الفران ، ويطلق عليها أشعة القاتلة :

— اصعد يا (نور) .. اصعد معنا ..

ولكنه بدا وكأنه لم يسمعها ، وهو يُطلق الأشعة في عنف
واستمرار ، وأنفاسه تتلاحق من فرط التعب والإجهاد
والانفعال ..

وتشبّثت (نشوى) بأُمها ، وهي تهتف :

— أُمّاه .. ينبغي أن نفعل شيئاً .. إننا لن نتركه هكذا ..

صاحت (سلوى) في ارتياح :

— ماذا نفعل ؟ ماذا ؟ .. إن تلك الفران اللعينة تسلّق

الموقد بالعشرات ، ولن يمضي وقت طويل ، حتى نجد أنفسنا
في موقف أسوأ من (نور) .

صاحت (نشوى) :

— ولكن ينبغي أن نفعل شيئاً ..

ومدّت يدها تلتقط سكيناً ضخماً ، وكأنها قرّرت أن
تشارك في المعركة بالسلاح الأبيض ..

ولكنها انزلت فجأة ..

انزلت وهوت وسط مئات الفران ..

مئات المخالب الحادة والأنياب الدقيقة ..

وصرخت (سلوى) في ارتياح :

— (نشوى) ..

وأدار (نور) عينيه نحو ابنته ، ورأى جيوش الفران
تهاجمها في وحشية وشراسة .. وشر ..

وبدا أن الشيطان سينتصر حتماً في هذه الجولة ..

حتمًا ..

٤ - كيف؟! ..

أشعلت أشعة الليزر النيران ، في البقايا الخشبية المتعددة ،
حول سيارة الدكتور (حجازي) الصاروخية ، وتوقف قطع
الذئب عن الهجوم ، وراح يتطلع إلى النيران في خوف ، ثم لم
يلبث قائد القطيع أن أطلق عواء متصلاً ، ثم انطلق يعدو
مبتعداً ، وقد تلاشت من عينيه تلك النظرة النارية ، وتبعه
القطيع كله بسرعة كبيرة ، فهتف الدكتور (حجازي) :

— أنت عبقرى يا دكتور (عزيز) .. لقد نجونا .

تنهد الدكتور (عزيز) في ارتياح ، وقال :

— النار يا ولدى .. النار وحدها تغسل الشرور .

ضغط الدكتور (حجازي) أزرار المحرك ، فأضاءت

كلها في ليونة ، وهتف هو في سعادة :

— حتى المحرك عاد للعمل .. يا للروعة !!

ثم انطلق بالسيارة نحو منزل الدكتور (عزيز) ، وهو

يستطرد :

— يبدو أننا كنا أول من سيطبق عليهم الشيطان الصغير
انتقامه ، ولكننا نجونا .

غمغم الدكتور (عزيز) في صوت مضطرب :
— مؤقتاً .

عقد الدكتور (حجازي) حاجبيه ، وقال في توثر :

— لماذا تقول هذا يا دكتور (عزيز) ؟

رفع الدكتور (عزيز) سبّابه أمام وجهه ، وهو يقول :

— لأن ذلك الوعد الصغير ما يزال هنا .. على أرضنا ،

وما دام لم يغد مرغماً إلى جحيم أجداده ، فالخطر لن ينزاح عنا
أبداً .

تمم الدكتور (حجازي) :

— صدقت .

ثم أوقف السيارة أمام منزل الدكتور (عزيز) ، مستطرداً
في تحفوت :

— ويبدو أنك ستضطر لاستضافتي حتى الصباح ،

فلست أجد في نفسي الشجاعة للعودة وحدي الآن .

ابتسم الدكتور (عزيز) ، وهو يقول :

— شكراً يا ولدى .. لقد كنت أبحث عن وسيلة ، أطلب

بها منك البقاء معى حتى الصباح ، ولكنك التقطت زمام المبادرة .

غادرا السيارة ، والدكتور (حجازى) يغمغم :

— أتعلم ؟. أظن أنه لن يغمض لى جفن حتى الصباح .

أجابه الدكتور (عزيز) فى هدوء :

— هذا حتمى ، فسنقضى الليل كله فى البحث .

سأله فى دهشة :

— أى بحث ؟

سرت الجذبة والصرامة فى صوت الدكتور (عزيز) ، وهو يقول :

— سنبحث عن وسيلة جديدة ، لمواجهة الشيطان الابن ،

أو لقتله دون مواجهته ، فنحن نخوض حرباً شعواء يا ولدى ، وويل لمن يغمض جفنيه ، قبل أن تعلن الحرب نهايتها .. الويل

كل الويل ..

من المؤكد أن (محمود) لم يستخدم تلك المسدسات ،

التي تطلق الرصاصات ، من قبل أبدا ..

ومن المؤكد أيضاً أنه لم يجد الوقت الكافى للتصويب ..

ولكن الرصاصات أصابت هدفها ..

أصابته بدقة بالغة ، كما لو أنه رام بارغ محترف ..

وفى تلك العين الشيطانية الملتبة ، غاصت الرصاصة ..

وأطلق الثّين الخرافى فحيحاً رهيباً ، ثم تراجع فى سرعة

كبيرة نسيّاً ، نظراً لثقل جسمه ، وبطئه المعهود ..

وفجأة ، تحوّل الثّين إلى شعلة من اللهب ..

شعلة تأجّجت لحظة واحدة ، ثم خبت وتلاشت ..

ولدقيقة تلت ، لم ينبس (رمزى) أو (محمود) ببنت

شفة ، أو تبدر من أيهما بادرة واحدة ..

كانا وكأنهما قد تحوّلا إلى تمثالين من الرخام البارد ..

ثم انتفض (محمود) ، وهتف :

— لقد أصبته .

حدّق (رمزى) فى تلك البقعة ، التي كان يقف عندها

الثّين ، وهتف :

— أهو وهم ؟

أشار (محمود) إلى بقايا الباب المحترق ، وهو يقول فى

حماس :

— بل حقيقة .

ثم أسرع يفادر الحجرة، ويتجه نحو جهاز التليفيديو،
الخاص به، فسأله (رمزي) في دهشة :
— ماذا ستفعل ؟

أجابه ، وهو يضغط أزرار التليفيديو في سرعة ولهفة :
— أريد أن أطمئن على (نور) ، فسرعه الهجوم نوحى
بأنه هجوم شامل ، إذ يبدو أن ذلك الشيطان قد قرّر أن
يضرب ضربته الأخيرة .. وبخزم .

سقطت (نشوى) وسط جحافل الفئران الشرسة ..
وصرخت (سلوى) في لوعة ..
وعضّ (نور) شفتيه في مرارة ، وهو يركل الحيوانات
الصغيرة ، صائحاً :

— ابتعدى أيتها الجرذان الحقيمة .. ابتعدى ..
وفجأة ، حدث ما أثار دهشته إلى أقصى حد ..
لقد تراجع الفئران ، وابتعدت بالفعل ، كما لو أنها قد
أطاعت أوامره ..

تراجعت كلها ، ووقفت تحدّق في (نور) و (سلوى)
و (نشوى) لحظات ، ثم اندفعت كلها إلى حيث جاءت ..

واختفت جيوش الفئران كلها في لحظات ..
ولم يكد آخر فأر يختفى ، حتى هتفت (سلوى) ، وهي
تقفز نحو ابنتها :

— أنت بخير ؟ .. أنت بخير يا بنيتى !؟
أومأت (نشوى) برأسها إيجاباً ، وهي تنهض بمعاونة
أمها ، دون أن تجرؤ على التفوه بحرف واحد ، ، في حين غمغم
(نور) في خيرة :

— ولكن لماذا ؟ .. لماذا ؟

سألته (سلوى) في دهشة :

— عمّ تتساءل ؟

أشار حوله ، قائلاً :

— لماذا جعلهم يتراجعون ، على الرغم من أنه كانت أمامه
فرصة نادرة لقتلنا جميعاً !؟

غمغمت (سلوى) في توثر :

— ربما قلت أنت شيئاً .. أو فعلت شيئاً .. أو

صمت لحظة ، ثم هتفت في حماس ، وكأنها قد أدركت
الأمر :

— ألم تأمرهم بالابتعاد !؟

لم تكذ تنهى من عبارتها ، حتى رُدَّت الجدران صدى
ضحكة شيطانية ساخرة ، انطلقت من نقطة ما ، خارج
الزمان والمكان ، فعقد (نور) حاجبيه في غضب ، وهو
يهتف :

— أيها الحقير .. لقد أضعت من نفسك فرصة نادرة ،
ستندم عليها أشد الندم فيما بعد .

انطلقت الضحكة الساخرة مرة أخرى ، وأعقبها صوت
(ابن الشيطان) ، وهو يقول :

— أخطأت مرة أخرى أيها الآدمي ، فالندم ليس من
سماتي ، كما أن فتراتي لم تترككم ، لأنك أمرتها بذلك ، بل لأنني
أنا فعلت .

قال (نور) في سُخرية ، وهو يتلفت حوله ، بحثاً عن
مصدر الصوت :

— لماذا أيها العطوف ؟ .. أراودتك تلك العاطفة
العجيبة ، التي لم يألُفها بنو جنسك من قبل ، والمعروفة باسم
(الرحمة) ؟

أجابه صوت الشيطان الابن ، في سُخرية مماثلة :

— لا وجود لتلك الكلمة في قاموسنا يا حفيد

(أوزيريس) ، مثلها مثل عشرات الكلمات الحمقاء ، التي
تعبرون بها عن مشاعر أكثر حماقة ، يا بني (آدم) .. إن
قاموسنا لا يحوى سوى كلمات القوة والظفر والشدّة والبأس .

قال (نور) في برود :

— فهيمت .

ثم أضاف في حزم :

— لقد تركنا إذن ، لتبرز قوتك ، وتؤكد لنا سيطرتك
على حياتنا ومقاديرنا .

قال الصوت في برود مماثل لبرود (نور) :

— ربما كان هذا أحد الأسباب ، ولكن السبب الرئيسي
هو أن رفاقك قد نجوا ، ولست أحب أن أقضى عليك وعلى
أسرتك ، إلا بعد أن أرى الحزن والمرارة في عيونكم ، عندما
يلقى الجميع مصرعهم .

قلب (نور) شفته في ازدراء ، وهو يقول :

— يا للحقارة !!

ثم رفع قبضته ، ولوح بها مهدداً ، وهاتفاً :

— ولكنك لا تجرؤ على مواجهتي أيها الجبان الحقير .. إنني
أتحداك أن تفعل .. أتحداك أن تظهر أمامي وجهها لوجه .

أجابه الشيطان الابن في حدة :
— سأفعل يا حفيد (أوزيريس) .
ثم استعاد هدوءه بسرعة ، وهو يستطرد :
— ولكن في الوقت المناسب ، عندما أرى أنا أن الوقت قد
حان .

قالها وأطلق ضحكته الساخرة المخيفة ، التي راحت تتلاشى
في ببطء ، مع ارتفاع أزيز جهاز التليفيديو ، فهتفت (سلوى)
في خوف :

— هل ذهب ؟

أجابها (نور) وهو يتجه نحو جهاز التليفيديو :
— مؤقتًا .

ثم ضغط زرَّ الجهاز ، فظهرت على شاشته صورة
(محمود) ، وهو يهتف في لهفة :

— (نور) .. أنت بخير ؟ .. أنتم جميعًا بخير ؟

أجابه (نور) في هدوء :

— اطمئن يا صديقي .. الجميع هنا بخير .. لقد نجونا مثلما
فعلتم جميعًا .

هتف (محمود) في دهشة :



ثم رفع قبضته ، ولوح بها مهددًا ، وهاتفًا :
— ولكنك لا تجرؤ على مواجهتي .

— كيف علمت بأمر نجاتنا ؟

أجابه في هدوء :

— لقد أخبرني ذلك الجهنمي الحقير .

زفر (محمود) في قوة ، قبل أن يتف :

— يا إلهي !!! إنها أبشع تجربة مرزنا بها حقاً

يا (نور) .. إن جسد ما يزال يرتجف ، على الرغم من أنها
قد نجونا بالفعل .

قال (نور) في حزم :

— إنها تجربة رهبة للجميع يا (محمود) ، ولكننا

سنحاول الاستفادة منها إلى أقصى حد .

هتف به :

— كيف ؟!

أجابه بنفس الحزم :

— سنعلم كيف يا (محمود) ، سأخبرك مع الآخرين

غداً ، في اجتماع خاص ، في إدارة المخابرات .

غمغم (محمود) في دهشة :

— اجتماع خاص ؟!

أوماً (نور) برأسه إيجاباً . وقال :

— نعم .. ويمكنك أن تطلق عليه اسم (مجلس الحرب) .

أمسكت (سلوى) كتف زوجها ، وهي تقول في قلق :

— (نور) .. هل ستعلن عليه الحرب حقاً ؟

أجابه في صرامة :

— بل سأقاوم حرباً يشنها هو علينا .

والفت مرة أخرى إلى شاشة التليفيديو ، مستطرذاً في حزم
وحسبم :

— غداً يا (محمود) .. غدا تبدأ المعركة الحقيقية ..



٥ - الكلمة ..

كان الاجتماع في مركز قيادة المختبرات العلمية ..
لم يكن في ذلك المبنى ، المقام فوق سطح الأرض ، والذي
يتصور العامة أنه مركز القيادة ، وإنما كان في المركز الفعلي ،
على عمق نصف كيلومتر تحت سطح البحر ..
وكان الاجتماع يتم داخل حجرة مصممة ، بلا نوافذ ،
ولا تحوى سوى مائدة مستديرة ، جلس حولها (نور)
وفريقه ، وابنته (نشوى) ، والدكتور (حجازى)
والدكتور (عزيز) ..

ولقد زُودت هذه الحجرة بنظام تهوية خاص ، شديد
التعقيد ، يعتمد على التداخلات الذرية ، للذرات
الإلكترونية ، وهناك جهاز خاص ، يمنع وجود أية أجهزة
تصنّت ، ويمنع تسرب حرف واحد خارج الحجرة ..
وجدران الحجرة نفسها من الرصاص السميك ، الذى
يلغ سمكه ما بين عشرين إلى ثلاثين سنتيمتراً ، وتحيط بها ذبذبة

كهرومغناطيسية دقيقة وقوية ، بحيث لا تسمح بمرور أية قوة
عبرها ، مهما بلغ صغر ذبذباتها ..

باختصار ، كانت حصناً يستحيل اختراقه ..
وفى داخلها ، كان الدكتور (حجازى) يسأل (نور) :
— ما سرُّ هذا الاجتماع يا (نور) ؟
أجابه (نور) فى هدوء :
— إننا هنا لنعدَّ خطة العمل ، للإيقاع بذلك الشيطان
الابن يا سيدى .

هتفت (سلوى) فى قلق ، وهى تتلفت حولها :
— ولكنه قد يكون هنا يا (نور) .
أشار إلى الجدران ، قائلاً :
— لا تنسوا أنه ، على الرغم من قدراته المذهلة ، نصف
بشرى .. أى أنه لن يستطيع عبور تلك الجدران ، مع وسائل
أمنها ، إلا بعد أن نعلم بوجوده .

غمغمت (سلوى) فى توثر :
— لست أظن شيئاً يقف فى سبيل شيطان مثله .
قال (نور) فى حزم :
— على أية حال ، ليس أمامنا سوى أن نخاطر .

التفت الدكتور (حجازى) إلى الدكتور (عزيز) ،
وسأله في قلق واهتمام :

— أظن أن تلك الجدران تمنعه يا سيدى ؟

تردد العجوز لحظات ، ثم قال :

— إننى لم أدرس هذا الاحتمال أبدا .

أشار إليه (نور) في حزم ، وهو يقول :

— ذغك الآن من الدراسات والاحتمالات يا سيدى ،

وأخبرنى كخبير فى علوم ما فوق الطبيعيات ، أهنأك وسيلة

أخرى لهزيمة ذلك الشيطان الصغير ، دون مواجهته ؟

تنهد الرجل ، وهز رأسه نفيا ، وقال :

— لقد قضيت الليل كله ، أبحث مع الدكتور

(حجازى) عن تلك الوسيلة ، ولكننا فشلنا ، وحتى الآن ،

فالوسيلة الوحيدة للقضاء على ذلك الشيطان الابن ، والتي

كشفتها أنت ، هى النار .. النار فقط ..

وتنهد مرة أخرى ، ثم أضاف فى أسف :

— ولكن هذا يتطلب مواجهته حتما .

التفت (نور) إلى (رمزى) ، وسأله :

— قل لى ، كخبير نفسى ، كيف يمكن دفع ذلك الابن

الشيطانى لمواجهتى على نحو مباشر ؟

عقد (رمزى) حاجبيه ، يحاول دراسة هذا الاحتمال ، ثم
قال فى تردد :

— أظنه لن يواجهك وجهها لوجه ، إلا فى حالة واحدة

يا (نور) .

سأله (نور) فى اهتمام شديد :

— متى ؟

تردد (رمزى) لحظة أخرى ، ثم أجاب :

— عند هزيمتك .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يغمغم :

— عظيم .. أظنه سيأتى على نحو واضح ، أم أنه سيتحصن

ضد النار ؟

أجابه (رمزى) على الفور :

— أظن أن الاحتمال الثانى هو الأرجح .

أرما (نور) برأسه متفهما ، ثم اعتدل ، وقال فى قوة :

— هذا يكفى .. الآن يمكننا أن نضع لخطتنا أيها السادة ..

لقد تركنا ذلك الشيطان الصغير يدير دفة المعركة منذ البداية ،

أما الآن ، فقد حان الوقت لنقول كلمتنا .. وستبدل

الأدوار .. ستبدل حتما ..



وفي صعوبة ، وبعد محاولة فاشلة لازدرداد لُعاب جاف ، هتف (فهمي)
بصوت مختق : — من أنت ؟ .. وكيف دخلت إلى هنا ؟

عاد (فهمي مروان) إلى منزله منهكاً ، بعد يوم طويل ،
قضاه في مراجعة نظم أمن مصنع ضخّم ، بصفته خبيراً في
شئون الأمن ، وأغلق باب المنزل خلفه ، وهو يهتف في إعياء :
— يا إلهي !! كم أئوq لقليل من الرّاحة ، مع قدح من
القهوة ، و

بتر عبارته بغتة ، وتراجع في حركة حادّة ، جعلته يرتطم
بالباب ، الذي أغلقه خلفه على التّو ، ويلتصق به ، وهو يحدّق
في وجهه ذلك الشخص الجالس أمامه ، في دُعر حقيقي ..
كان شاباً وسيماً ، يرتدى حُلّة سهرة سوداء ، ورباط عنق
أحمر نارياً ، ويجلس هادئاً ، على المقعد المقابل للباب ، بشعره
الأشقر الذهبي ، وعينه اللتين تُومضان ببريق هيب مستعر ،
وابتسامته الخفيفة ..

وفي صعوبة ، وبعد محاولة فاشلة لازدرداد لُعاب جاف ،
هتف (فهمي) بصوت مختق :
— من أنت ؟ .. وكيف دخلت إلى هنا ؟

نهض الشاب من مقعده في هدوء ، واتجه نحوه ، وهو يقول
في صوت بارد ، بدا — على الرغم من برودته — وكأنه يأتي من
أعماق الجحيم :

— دخلك من تلك الأسئلة الحمقاء ، وأجبنى أنت :
أليك حُلة خاصة ، يمكنها مواجهة النيران ، مهما بلغت
قوتها ؟

ازداد (فهمي) التصاقاً بالباب ، وهو يخبى في خوف ،
وعينه لا تفارقان عيني (ابن الشيطان) الناريتين :
— من الصعب وجود مثل هذه الحُلة ، صحيح أنه توجد
ثياب مقاومة لنيران الحرائق العادية ، ولكن

بتر عبارته في رُغب هائل ، عندما رأى في وضوح تلك
النيران ، التي تستعر في عيني الشيطان الابن ، الذي قال في
لهجة هادئة حازمة :
— أحقاً !؟

شعر (فهمي) بدوار ، وبرغبة قوية في أن يسقط فاقد
الوعي ، وهو يغمغم في ارتياح :
— بل توجد حُلة واحدة فريدة ، مصنوعة بالكامل من
مادة خاصة ، كانت معدة لنقل رجل آلي ، إلى قلب الشمس ،
ولكنها حُلة نادرة ، لا يوجد منها في العالم كله ، سوى
واحدة ، و

قاطعته (ابن الشيطان) ، وهو يحدق في عينيه مباشرة ، قائلاً :
— وأين هي !؟

قال (فهمي) ، وقد سرت البرودة في أطرافه ، وتلججت
حواسه رُغباً :

— إنها هناك ، في مؤسسة أبحاث الفضاء ، ومن المستحيل
أن يصل إليها أي مخلوق ، ما لم يصل على تصريح أمني
خاص ..

ابتسم (ابن الشيطان) ابتسامة مخيفة ، وهو يقول :
— تقصد أي إلسي .

ثم وضع كفيه على كفي (فهمي) ، الذي احتبست في
حلقه صرخة رُغب وألم هائلة ، وانتفض جسده انتفاضة
عنيفة ، عندما سرت فيه تلك الصاعقة ..
صاعقة الشيطان ..

أصغى الجميع إلى (نور) في صمت تام ، وهو يشرح
تفاصيل خطته ، وبعدها استمر الصمت بضع لحظات ، ونخيم
على المكان ، وسيطر عليه سيطرة تامة ، قبل أن تغمغم
(نشوى) في خوف :

— أرى .. خطتك هذه ليست حرباً .. إنها انتحار ..
انتحار كامل .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول في صرامة :

— هذه هي الوسيلة الوحيدة المتاحة .

هتف (رمزي) معترضًا :

— ولكنها ليست وسيلة عادلة .. إنك تدفع نفسك

وحياتك ثمنًا لنجاح خطة ، تهدف إلى إنقاذنا جميعًا .

أشار (نور) إلى صدره بقبضته ، وهو يقول في جدّة :

— لأنها معركتي أنا .

هتفت (سلوى) :

— بل هي معركتنا جميعًا .

لوح (نور) بكفه ، صائحًا :

— أنسيم أنه يقصدني أنا في النهاية ؟! .. أنسيم أنه من

أجلي أنا ، نشبت كل هذه الحرب ؟ .. من الطبيعي إذن أن

أكون أكثركم ميلًا للمخاطرة والمجازفة ، على أن أضع في الاعتبار

أن كلاً منكم لديه دور يقوم به .. أليس كذلك ؟

غمغم الدكتور (عزيز) في إشفاق :

— هذا صحيح يا ولدي ، ولكن أدوارنا تبدو أشبه

بـ (الكومبارس) ، إلى جوار دورك .

هتف (نور) :

— هذا ما تظنون .. إن أدواركم أكثر أهمية من دوري ..

صحيح أنني سأواجهه في النهاية ، ولكنني سأفعل وأنا واثق من

أن كلاً منكم قد أدّى دوره على نحو جيّد ، وإلا فالفشل

نصبي حتمًا .

نهض (محمود) ، وهو يقول في حزم :

— أنت على حقّ يا (نور) .

هتفت (سلوى) مستكرة :

— ماذا تقول يا (محمود) ؟

التفت إليها ، وهو يقول في حزم :

— أقول إنه على حقّ يا (سلوى) .. إنها معركته ، شئنا أم

أبينا .. وسأستعيد هنا عبارة الدكتور (عزيز) ، التي نسيها في

غمرة انفعاله ، تلك العبارة التي تقول « إنه من الضروري أن

نستعين في قتالنا ، مع الشيطان الابن ، بالعقل والمنطق

وحدّهما ، وإلا فإنه سينتصر حتمًا » ، لا مجال هنا للعواطف

والانفعالات .. الواقع وحده سينتصر .

ثم استدار إلى (نور) ، واستطرد في قوّة :

— أنا أحد جنودك يا (نور) ، وسأنفذ كل ما تأمرني به .

غمغم (نور) في امتنان :

— شكرًا لك يا صديقي .

نهض (رمزي) بدوره ، وقال :

— وأنا كذلك .

وهتفت (سلوى) ، وعيناها مفرورتان بالدموع :

— لا أظننى سأتحلى عن زوجى .

ونهضت (نشوى) تعانق أباهما ، هاتفة :

— ولا أنا عن أبى .

وابتسم الدكتور (حجازى) فى هدوء ، وهو يقول :

— متى تحب أن نبدأ يا (نور) ؟

أما الدكتور (عزيز) ، فقد نهض ، قائلاً فى حماس

وانفعال :

— صدقتم ، يا ولدى .. على الرغم من أننى قد تجاوزت

العقد التاسع من العمر ، إلا أن هذه أعظم لحظات حياتى ..

وكان على حق ..

إنها أعظم لحظات حياته ..

وأعظم لحظات حياة الجميع ..

لقد تحالف بنو آدم ، لبدءوا حربهم ضد (ابن الشيطان) ..

وفى هذه المرة كانت الجولة عنيفة ..

وأخيرة ..

٦ — وبدأت النهاية ..

جلس رجل الأمن ، فى مؤسسة أبحاث الفضاء المصرية ،
مأهبا متحفزا كعادته ، وهو يراقب شاشات الراصد
المتعددة ، التى تنقل إليه كل ما يدور بالخارج ، بعد أن لقن
طوال دورة تدريبية طويلة ومكثفة ، كيف أن هذا المكان
يخوى أدق وأخطر أسرار الدولة الحربية ، والعلمية .

والواقع أن تحفز رجل الأمن وتأهبه ، لم يكن لهما
ما يبرزهما ، على الرغم من أهمية المكان وخطورته ، فقد كان
كل شئ هناك يدار آلياً .. حتى وسائل الدفاع ، فما إن
يقرب شخص ما من المبنى ، حتى يكون عليه أن يبرز بطاقته
الخاصة ، أمام قبة من الترددات العنيفة ، تحيط بالمكان ، وتمنع
أى كائن من اختراقها ، ما لم يحمل بطاقة مغناطيسية خاصة ..
ولو تجرأ أحد ، واجتاز تلك القبة غير المرئية ، متجاهلاً
لافتات التحذير ، فإن مدافع الليزر ، التى تديرها أجهزة
كمبيوتر بالغة الدقة ، ستطارده بلا رحمة ، حتى يعود
أدراجة ، أو يسقط جثة هامدة ..

وحتى لو أفلت من هذا أو ذاك ، فستجابه قوات آليّة
قويّة ، يمكنها تمزيق حائط من الفولاذ البلائينى فى ثوانٍ
معدودة ..

وبعدها سيكون عليه أن يجتاز أسوار الأمن ، التى يسرى
فيها تيار كهربى رهيب ، يبلغ مليونى فولت على الأقل ..
وإذا ما أفلح رجل فى ذلك ، فلن يكون أمامه سوى معرفة
تسع شفرات سرّية بالغة التعقيد ، ينجح الكمبيوتر الحديث ،
المزوّد بدوائر بحث إضافية فائقة السرعة ، فى حل رموز الشفرة
الواحدة منها ، فى نصف الساعة على الأقل ..

وإذا ما حقّق أى مخلوق هذه المعجزة .. بل إذا ما تجاوز كل
هذه المعجزات ، يكون من حقّه أن يحصل على ما يريد ..
لهذا لم يكن لتأهب رجل الأمن وتحفّزه من مبرّر ..
ولكن فجأة ، وعلى الرغم من ذلك ، تضاعف تحفّز رجل
الأمن ، وأضيف إليه شعور قوى بالتوتر ، وهو يميل إلى الأمام
فى دهشة بالغة ، وكأنما يرغب فى اختراق شاشات الرصد
برأسه ، والفوص فيها بعينه ..

كل هذا لأنه شاهد شاباً وسيماً ، يجتاز القبة غير المرئية ،
وهو يحمل على شفّتيه ابتسامة ساخرة ، غير مبالية ..

وتحوّلت دهشة رجل الأمن إلى ذُهول جارف ، عندما
بدأت مدافع الليزر تنطلق ، وتصبّ أشعتها على المقتحم
الوسيم ..

لقد اخترقت خيوط الأشعة جسده ، ونفذت منه ،
وانكسرت أو انعكست ، دون أن يتوقّف هو لحظة ..
وهنا انطلقت القوات الآلية تواجه المعتدى ..
وتخيّل لرجل الأمن أنه يحيا كابوساً بشعاً ، أو أنه يشاهد
معجزة من معجزات الخلق ..
أو أنه قد جنّ ..

لقد رأى مخالب القوات الآلية تُطبق على ذراع المعتدى ،
وتبتّرها ، فتسقط الذراع أرضاً ، ثم تعود فتقفز إلى جسد
صاحبها ..

الجسد كله يتمزّق ، ثم تعدّو أجزاؤه لتلتقى ، وينهض
الجسد من جديد ..

وعندما بلغ المقتحم أسوار الأمن ، ومزّقها بيديه
العازيتين ، اللتين تألقتا فى قوّة ، لسريان مليونى فولت فيهما ،
تراجع رجل الأمن فى رُعب هائل ، وهو يردّد :

— مستحيل !!.. هذا مستحيل !! مستحيل !!..

وكاد يسقط فاقد الوعي ، عندما رأى ذلك المقتحم داخل
المبنى ، يتجاوز أبوابه ذات الشفرات المعقدة ، كما لو كانت
الأبواب نفسها تخشى اعتراض سبيله ، فتستسلم له في
رُغب ..

وبلغ المقتحم الخفيف قاعة التجارب الخاصة ، وانتزع من
هناك تلك الحُلة الذهبية الجديدة ، التي أطلق عليها العلماء
اسم (رداء الشمس) ، والتي قالوا لرجل الأمن إنها أخطر
أسرار (مصر) ..

وهنا أجبر رجل الأمن كل مخاوفه على المضي بعيدا ، وألقاها
خلف ظهره في حزم ..

لقد صار الأمر يتعلق بأمن وطنه ..

ولأول مرة في تاريخ مؤسسة أبحاث الفضاء المصرية ،
غادر رجل أمنها مقعده ، وانتزع مسدسه الليزري ، وانطلق
يتصدى لمعتدي ..

وبكل الحزم والصرامة ، صاح رجل الأمن ، وهو يصوب
مسدسه إلى ذلك المقتحم ، الذي أمسك (رداء الشمس)
يفحصه في اهتمام :

قف مكانك ، واستدر في بطاء ..

استدار إليه (ابن الشيطان) في هدوء ، ورسم على شفثيه
ابتسامة ساخرة مخيفة ، وهو يقول في لهجة تجمّدت لها دماء
رجل الأمن في عروقه ، وهوى لها قلبه بين قدميه رُغبا :

— أتأمرني أيها البشري الحقيير ؟! .. أتأمر سيّدك ؟

تجمّد رجل الأمن في مكانه ، وتجمّدت قبضته المُمسكة
بالمسدس ، وهو يحدّق في عيني الشيطان الابن الناريّتين ، وهذا
الأخير يقترب منه في بطاء ، ثم نفّض الرجل خوفه بغتة ،
وصاح في توثر رهيب :

— قلت لك قف .. لا تقترب .. واترك الرداء ..

ولكن (ابن الشيطان) تابع تقدّمه ، وهو يحمل على شفثيه
نفس الابتسامة الساخرة ..

وهنا أطلق رجل الأمن أشعة مسدسه الليزري ..

أطلقها بمزيج من الخوف والهلع والتوثر ..

ورأى أشعته تخرق جسد (ابن الشيطان) ..

وتخرقه ..

وتخرقه ..

والشيطان الابن يواصل تقدّمه ، وابتسامته الساخرة تملأ

وجهه ، حتى بلغ رجل الأمن ، الذي تجمّد رُغبا ، وقال في

لهجة مخيفة :

— لقد حكمت على نفسك بالموت ، أيها الآدمي الأحمق .
وفي هدوء ، وضع كَفَّيه على كتفى رجل الأمن ، الذي
اختنقت صرخته في حلقه ، وسَرَت صاعقة الشيطان في جسده
حتى المَوْت ..

تنهَّد الدكتور (حجازي) في عمق ، وهو يشير إلى ثلاث
جثث ، تراصَّت أمامه في قسم التشريح ، قائلاً في حزن
ومرارة :

— هذه هي حصيلة مساء أمس ، وصباح اليوم
فحسب .. ثلاثة قتلى ، يحمل كل منهم ذلك النقش الملعون على
صدره ، وثلاثتهم لَقُوا مصرعهم بالصعق الكهربى .. أولهم
صحفى فاشل ، يُدعى (صفوت) ، ولقد تعرَّفَه الناجون من
حادث اقتحام إدارة البحث العلمى عندكم ، وقالوا إنه
المقتحم ، والثانى (فهمى مندور) ، خبير الأمن المعروف ،
والثالث رجل أمن ، لَقِيَ مصرعه في مؤسسة أبحاث الفضاء ،
مع اختفاء (رداء الشمس) .

عقد (نور) حاجيه ، وهو يقول في ألم :

— يا للحقارة !!



وفي هدوء ، وضع كَفَّيه على كتفى رجل
الأمن ، الذى اختنقت صرخته في حلقه ..

ثم شرد ببصره لحظات ، وهو يغمغم ، وكأنما يحدث نفسه :

— صحفي ، وخبير أمن ، ورجل حراسة ، ورداء شمسي .. ترى ما الذي يربط كل هذا ببعضه بعض ؟
صمت لحظات ، وقد انعقد حاجباه في تفكير عميق ، ثم لم يلبث أن اعتدلا في هدوء مع ابتسامة كبيرة ، وهو يقول :
— لقد فهمت :

سأله الدكتور (حجازي) في اهتمام :
— حسنا .. ما الذي يعنيه كل هذا ؟

ابتسم (نور) ، وقال :

— يعني أن كل شيء يسير على ما يرام فحسب .
ثم ربت على كتفه ، مستطرذا :

— والآن هيا بنا ، فلقد شارفت الشمس المغيب ، والليل هو ساحة ذلك الوغد الأثيرة ، ولابد لنا من أن نجتمع كلنا معا ، في منزل الدكتور (عزيز) كما اتفقنا .

غمغم الدكتور (حجازي) في توثر ، وهو يخلع مغطاه وقفازيه :

— أمن الضرورى أن نجتمع في ذلك المنزل المقفر ؟ .. إنه

يشير مخاوفي ، من قبل حتى أن نسمع بأمر (ابن الشيطان) هذا .

اتسعت ابتسامة (نور) ، وهو يقول :

— حتى لو وقع اختيارنا على غيره ، لكان هو سيدفعنا إليه دفعا ، فهو يمثل كل ما يميل إليه عقله الشيطاني المريض .. البدائية ، والرغبة والغموض .

غمغم الدكتور (حجازي) ، وهو يتبعه إلى الخارج :

— عجباً يا (نور) !! إنك تُهَيِّئ له كل ما يصبو إليه .

ضحك (نور) ، وهو يقول :

— ألا يعني هذا أنني خصم شريف ؟

ابتسم الدكتور (حجازي) ابتسامة باهتة ، وهو يغمغم :

— نعم .. أنت خصم مخلوق بجهل معنى كلمة (شرف) تماما .

ركب الاثنان سيارة (نور) الصاروخية ، وانطلق بها هذا الأخير ، مجتازاً شوارع (القاهرة) الجديدة ، ومشجها نحو مشارف (القاهرة) القديمة ، حيث يقيم الدكتور (عزيز) ، وغمغم الدكتور (حجازي) في توثر :

— أتعشم ، عندما نصل ، أن نجدهم جميعًا على قيد الحياة .

أجابه (نور) في هدوء :

— لا تقلق بشأنهم يا سيدى ، فلن يصيبهم ضرر ، ما دام الدكتور (عزيز) معهم ، فهو أكثر أهل الأرض خبرة ، بكيفية مواجهة نصف الشيطان هذا .

سأله الدكتور (حجازى) فى توثر :

— ولكن ابن الملعون هذا لن يقف ساكنًا ، فلو أنه لم يهاجمهم ، فهذا يغنى أنه قد يهاجمنا نحن .

أجابه (نور) فى هدوء شديد ، تعارض تمامًا مع كلماته :

— أظن أن هذا ما سيفعله .

اتسعت عينا الدكتور (حجازى) فى دُغر ، وهو يهتف :

— (نور) .. أتحاول إخافتى ؟

ابتسم (نور) ، قائلاً :

— بل أحاول تحذيرك .

هتف الدكتور (حجازى) فى عصبية :

— كيف تبسم هكذا ؟

هز (نور) كتفيه فى هدوء ، وقال :

— لقد قرّرت ألا أبكى بعد اليوم .

رأى عليهما الصمت بضع لحظات ، بعد هذه العبارة ، ثم قال الدكتور (حجازى) فى خُفوت :

— لقد اقتربنا يا (نور) .. أظن أنه لن يهاجمنا الآن ، بعد أن بلغنا هذا الحد .. أليس كذلك ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

— مَنْ يدري ؟ .. إن القِطْ يحبُّ دَوْمًا أن يمنح الفأر اعتقادًا قويًا بأنه قد أفلت ، ثم ينقضُّ عليه فى اللحظة الأخيرة ..

ارتجف صوت الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

— أعتقد ذلك حقًا ؟

ثم هللت أساريه ، وهتف فى حرارة ، وهو يشير إلى منزل الدكتور (عزيز) ، الذى لاح من بعيد ، وراح يقترب بسرعة كبيرة ، تساوى سرعة انطلاق السيارة الصاروخية نحوه :

— يبدو أنك قد أخطأت يا (نور) .. لقد وصلنا ، و
وفجأة بتر عبارته ، وارتجفت سبّابته ، التى تشير إلى المنزل ، وانتفض جسده فى قوّة ورُغب ..

لقد اختفى المنزل ..

وبدلاً منه ، أحاطت سحب كثيفة بالسيارة ..

وفجأة ، انقضت السحب ، ووقف شعر الدكتور

(حجازى) رُعباً ..

لقد كانت سيارة (نور) تنطلق بسرعتها الصاروخية ، نحو

حوض يفيض بالحُمَم البركانية الملتهبة ..

وقبل أن يصرخ الدكتور (حجازى) ، هَوَّت السيارة فى

الحُمَم ..

واشتعلت براكيها ..



٧ - الوهم ..

أطلق الدكتور (حجازى) صرخة رُعب مُدوِّية ، عندما غاص مع السيارة وسط الحُمَم ، وشعر بالسنيران تلتهم جسده ، على حين ارتفع صوت (نور) ، وهو يهتف :

— إنه وهمٌ يا دكتور (حجازى) ، مجرد وهم .. قاوم .. وركز أفكارك على نقطة أخرى ..

راح الدكتور (حجازى) يذل أقصى جهده ، لمقاومة آلامه المبرحة ، وتركيز أفكاره فى نقطة أخرى بعيدة ..

وراح يتذكر طفولته ..

تذكر صباه وفُتُوته فى مدينة (طنطا) ..

تذكر عمله فى (بنها) ..

تذكر رحلة العمل ، التى خاضها فى شبابه ، فى مدينة (الهُفوف) بالسُّعُودِيَّة ، ثم فى (الدَّمَّام) ..

وحصوله على درجة الدكتوراه ..

ونيله جائزة الدولة التشجيعية ، على أبحاثه فى مجال الدَّم ..

وزواجه .. و
وفجأة ، تلاشى كل شيء ..
لم تغد هناك حُمم ..
لم تغد هناك ألم ..

عاد يرى منزل الدكتور (عزيز) ، الذى أوقف (نور)
سيارته أمامه ..

ورأى (نور) يتسم فى هدوء ..
وبكل دهشته وخيرته ، وإعجابه ، هتف :
— كيف تفعل ذلك يا (نور) ؟! كيف تقاوم كل تلك
المؤثرات ؟!

ابتسم (نور) ، وهو يجيبه فى هدوء :
— كان يكفى أن يقتنع عقلى بأن كل هذا مجرد وهم ،
ليفقد (ابن الشيطان) هذا كل تأثيراته الوهمية على .
زفر الدكتور (حجازى) فى قوة ، وهو يقول :
— (نور) .. أنت شاب رائع .
غمغم (نور) فى هدوء ، وبلهجة تحمل قدرًا وفيرًا من
الحياء :

— شكرًا لك يا سيدى .

ثم قفز خارج السيارة ، مستطرًا فى حزم :
— والآن هيا .. فالجميع ينتظرون بدء المعركة .

تهللت أسارير (سلوى) ، وهى تلقى نفسها بين ذراعى
زوجها (نور) ، هاتفة :

— (نور) .. حمدًا لله أنك قد وصلت سالمًا .. لقد
خشيت لحظات أن يعترض ذلك الشيطان طريقك ، ويوقع
بك فى براثنه .

ربت (نور) على كتفها فى حرارة ، وقال فى حنان :
— اطمئنى يا عزيزتى ، سيعود ذلك الشيطان الابن إلى
جحيم قومه الليلة ، مهزومًا مدخورًا ، يجر أذيال الخيبة .
ارتجفت أجساد الجميع ، عندما دوى صوت غاضب ،
رذذته كل الجدران ، وهو يهتف :
— مُخال .

وفجأة ، اشتعلت النيران فى المقعد المجاور لـ (نور) ،
وشهقت (نشوى) فى دُعر ، وقفز (محمود) جانبًا ،
وغمغم الدكتور (عزيز) فى هلع :
— يا إلهى !!

أما (رمزي) و (سلوى) والدكتور (حجازى) ،
فقد جمدهم الرُّعب ، وسمعوا (نور) يقول فى هدوء ،
وبلهجة تحمل قدرًا موفورًا من السُّخرية :
— يا للسخافة !!

وهنا اشتعل مقعد آخر إلى يساره ، وراحت كتب الدكتور
(عزيز) ومخطوطاته النادرة تتقاذف ، وترطم بالحوائط
والأرض فى عنف ، حتى أن هذا الأخير راح يهتف فى ارتياح :
— كتبى .. مخطوطاتى .. دَع نواذيرى أياها الشيطان
الطفل .. دَع خلاصة عمري أياها الحقير .

ولكن شعرة واحدة فى جسد (نور) لم تهتز ، على الرغم
من الرُّعب الهائل ، الذى سيطر على كل مَنْ حوله ، فى حين
قال هو فى سُخرية :

— ألن تكف عن عبث الأطفال هذا ؟

هوقف كل شيء بغتة ، وَخَبَت نيران المقعدين ، واختفت
أطنان الكتب الممزقة ، الملقاة أرضًا ، وعادت تبدو فى مكتبتها
الضخمة منظمّة مرتبة ، جنبًا إلى جنب مع المخطوطات
النادرة ، فهتف الدكتور (عزيز) مذهولًا :

— ما الذى يحدث هنا ؟

أجابه (نور) فى هدوء ، وهو يحمل على شفّيته ابتسامة
ساخرة :

— مجرد وهم يا سيدى .. أو هام سخيفة ، لا يتفوق فيها
إلا طفل تافه .

ارتجّت الجدران بصيحة الغضب :

— ستموت يا حفيد (أوزيريس) .

ابتسم (نور) فى سُخرية ، وقال :

— أهذا أيضًا مجرد وهم ؟! .. لماذا لا تظهر أمامى ،
ما دمت تملك كل هذه الشجاعة ؟

أتاه صوت من مدخل الحجرة ، يقول :
— هأنذا .

كان الصوت مألوفًا بشدّة ، وعندما التفت الجميع إلى
مصدره ، اشتركوا فى شهقة دهشة قوية ..

فلقد كان الصوت مألوفًا ؛ لأنه صوت (نور) ..

والواقف هناك كان (نور) ..

(نور) نفسه ..

كانت دهشة الجميع جارفة ، وهم يحدّقون فى شبيه
(نور) ، الذى وقف متحدّيًا عند باب الحجرة ، يقول :

— هيا أيها الرائد .. أطلق أشعة مسدسك على ، لو أنك
تجرؤ .. هيا .. افعل .

هز (نور) رأسه نفيًا في هدوء ، وقال :

— لست أهوى عبث الأطفال .

استل الشبيه مسدسه الليزرى ، وهو يقول في غضب :

— أطلق أشعتك ، أو أقتلك أنا .

هز (نور) كتفيه في برود ، وقال :

— اقتلنى أنت ، لو أن هذا يرضيك .

صوب الشبيه مسدسه إلى رأس (نور) ، وهتف :

— نعم .. سأقتلك .

أطلق (نور) ضحكة ساخرة عالية ، وقال :

— لن تفعل أيها التافه .. اعلم تمامًا أنك لن تفعل .. فلو

أنك تسعى لقتلى فحسب ، لأمكنك تحقيق ذلك منذ البداية ..

إنك تسعى للحصول على نصر أسطورى ضخم .. نصر يتيح

لك حق إمارة شياطين الجحيم ، الذين يرفضون سيادتك لهم ،

على الرغم من أنك ابن كبيرهم ، بحجة أنك لست شيطانًا

كاملاً .

بدا الغضب على وجه الشبيه ، و (نور) يستطرد بלהجته

الساخرة :

— أنت بالنسبة إليهم نصف شيطان ، وبالنسبة إلينا نصف
إنسان .. صدقنى أيها الثعس .. لقد حكم عليك والدك بأن
تحيا عمرك كله ضائعًا ، حائرًا ما بين البشر والشياطين .

صرخ الشبيه في غضب ثائر :

— خطأ .. إننى شيطان .. شيطان كامل .

أطلق (نور) ضحكة ساخرة أخرى ، وهو يقول :

— أتؤمن بذلك حقًا !!

وهنا خفض الشبيه مسدسه ، وهتف في مراة :

— اقتلنى يا حفيد (أوزيريس) .. اقتلنى .

هز (نور) رأسه نفيًا ، وقال في صرامة :

— لن أطلق أشعة مسدسى على وهم .. أنت مجرد وهم ..

وههم ..

صرخ الشبيه :

— لست وهما .

هتف (نور) في صرامة :

— بل أنت وهم .. وهم مخض .

وهنا تلاشى الشبيه في بطاء ، حتى اختفى تمامًا ، وهتف

(رمزى) مشدوها :

— يا إلهي !! إنه وهمٌ بالفعل .. لقد تصوّرت أنه
الشیطان الابن نفسه ، وقد تقمّص شخصيتك .

ابتسم (نور) في سُخرية ، وهو يقول :

— اطمئن .. إنه لن يفعل هذا أبداً .

وفجأة ، ثبّتت (سلوى) بذراع (نور) ، وهتفت في
ذعر :

— (نور) .. يا إلهي .. انظر .

التفت الجميع إلى حيث تشير ، ثم شهقوا في دهشة ،
عندما ارتفع صوت (ابن الشيطان) ، يقول :

— أَسْخَرِ مِنَ الْوَهْمِ يَا حَفِيدَ (أوزيريس) ؟

لم يكن مبعث دهشتهم ، وذعر (سلوى) ، هو صوت
(ابن الشيطان) أو عبارته ..

لقد كان ذلك الجسم ، الذي صدر عنه الصوت ..

لقد صدر عن جمجمة ، موضوعة فوق مكتب الدكتور
(عزيز) ..

جمجمة اختفى تجويف عينيها ، وظهرت فيه عينا
الشیطان ..



وهنا خَفَضَ الشَّيْطَانُ مَسْدُوسَهُ ، وهتف في مرارة :

— اقتلني يا حفيد (أوزيريس) .

(نور) وَخَذَهُ لَمْ يَشْعُرْ بِالدهشة أو الرعب ..
لقد فقد كل هذه المشاعر ، بعد كل ما واجهه في تلك
المغامرة ..

وفي هدوء ، التفت إلى الجمجمة ، وقال :
— نعم .. أسخر من الوهم ؛ لأنه لا يؤذى أحدا .
تحرّكت فكّا الجُمُجُمة ، وانبعث من بينهما صوت
الشیطان الابن ، وهو يقول في جدّة :
— حافظ على سُخريتك منه إذن ، فعندما تكشف
خطورته ، ستكون قد أصبحت مجرد جُثّة هامدة .
وارتفع الصوت ، وهو يستطرد :

— ستسقط ضحية وَهْم أيها الرائد .. وَهْم قاتل .
وفجأة ، تلاشى كل شيء مِنْ حَوْل (نور) ، ورأى نفسه
يرتدى زَيْاً فِرْعَوْنِيّاً ، ويمتطي إحدى عربات الحرب المصرية
القديمة ، وينطلق بها نحو رجل يرتدى زَيْاً مِمَّاثِلاً ، ويمتطي عربة
ممثلة ، وارتفع في أُذُنَيْهِ صوت (ابن الشيطان) ، وهو
يقول :

— أنت الآن تعيش وَهْمًا من حياة سابقة أيها الرائد ..
ولكنك إذا ما لقيت مصرعك في الوهم ، ستكون هذه نهايتك
في عالم الحقيقة .. هَيَّا .. قاتل .

ثم تلاشى صوت (ابن الشيطان) أيضًا ، وبقيت ساحة
القتال الفرعونية ..

وفي هذه المرة كان الوهم قويًا ، واضحا .
بل كان حقيقة عجيبة ..

ورأى (نور) خصمه يندفع بعربته نحوه ، وهو يدس
سهمًا في وتر قوسه ، ويصوّبه إليه ..

وبسرعة ، وبحركة غريزية ، سحب (نور) من كِنَانَتِهِ (*)
سهمًا ، ودسّه في وتر قوسه ، ثم أطلقه ..

كانت معركة حقيقية ، في عالم الوهم ..
معركة سيبقى بعدها منتصر واحد ..

(نور) ..

أو (ابن الشيطان) ..

(*) الكِنَانَة : هي الجَفْة التي توضع فيها السهام ، على ظهر المقاتل .

٨ - عَبرَ التاريخ ..

لم يُصِبْ سَهم (نور) خصمه ..
لقد تجاوزه ببضع سنتيمترات ، على حين أطلق الخصم
سهمه في إحكام ..
ورأى (نور) السهم يتجه إلى عنقه ، فالتحنى في سرعة ،
وسمع أزيز السهم ، وهو يمرُّ فوق رأسه ..
واعتمد (نور) مرة أخرى ، والتقط رُمحه ، وأدار
نصله الحاد إلى الخلف ، والعريتان تندفعان نحو بعضهما
البعض ..
وأصاب (نور) صدر خصمه ، بظهر رُمحه الخشبي ..
ودفعت الضربة الخصم خارج عربته الخربية ، وأسقطته
أرضاً ..
وهنا جذب (نور) عِنان جِوادي العربة ، فصهلاً في
قوة ، وهما يتوقَّعان دفعة واحدة ، وسط عاصفة من الرمال ..
وقفز (نور) من عربته ، واندفع نحو خصمه ، الذي
استلَّ خنجره ، ووقف يواجهه في شراسة ..

ودار (نور) حول نفسه ، ثم قفز في الهواء ، ودارت
قدمه كالمروحة ، لتركل خصمه في وجهه في قوة ..
وسقط الخصم أرضاً ..

وقبل أن ينهض ، ركل (نور) خنجره بعيداً ، ثم هوى على
فكِّه بلكمة ألقته أرضاً ..

وارتفع صوت صارم أمر يقول :
— كفى ..

توقَّف (نور) واعتدل ..

كان لسبب ما — لا يدري كنهه — يعلم أن عليه طاعة
صاحب الصوت ..

ولسبب آخر يجهله ، اتجه نحو مصدر الصوت ، ورأى
أمامه رجلاً مهيباً ، يجلس فوق عرش من الذهب الخالص ،
حاملاً مفتاح الحياة الفرعوني ، ومرتدياً تاج الوجهين ، الذي
تطلُّ من منتصفه تلك الحية الذهبية (أرايوس) ، حامية
الملوك ..

وبصوت هادر واثق قوى ، قال (نور) :

— سلام على فرعون العظيم .

ابتسم الفرعون ، وقال :

— سلام يا (أوزيريس) .. لقد ربحت معركتك ..
وانتصرت على (ست) .

(ست) ؟!

إذن فخصمه هذا هو غريمه اللدود ..

هو (ابن الشيطان) .. نفسه ..

واستدار في سرعة ليرى خصمه ..

ولكن الأرض مادّت به ، وأحاط به ظلام مخيف ، و

فجأة ، وجد نفسه في حفل فرعوني قديم ..

وأمامه كان يجلس (ست) ، تحيط به الجوارى الحسنان ..

وفي منتصف القاعة كان هناك تابوت فرعوني قديم ..

ونهض (ست) من مكانه ، واقترب منه ، وهو يتسم ،

قائلاً :

— ثرى ، هل يناسبك هذا التابوت ، يا أخى

(أوزيريس) ؟

قال (نور) في صرامة :

— لست أظنه يناسبنى يا (ست) .

ابتسم (ست) في حُبث ، وقال :

— لم لا تجرب به ؟. تعال .. ستجده مناسباً لك تماماً ..

كانت الأسطورة تقول إن (أوزيريس) سرق قد في
التابوت ..

وكان (نور) يشعر برغبة جارفة في أن يفعل ..

ولكن إرادته قاومت رغبته في عنف ..

وهزمتها ..

وهتف (نور) في صرامة :

— لا يا (ست) .. لن أرقد داخله .

هتف (ست) في حَنَق :

— ماذا تقول ؟ .. من المستحيل تغيير التاريخ .

قفز (نور) يلتقط مشعلًا ، وهو يهتف :

— مَنْ قال هذا ؟

وبكل ما يملك من قوّة ، دفع المشعل ونيرانه في وجه

(ست) ، و

واختفت الصورة بغتة ..

اهتزّت كما لو أنها على سطح مياه ..

ثم أظلمت الدنيا ..

وشعر (نور) أنه يهوى في بئر عميقة ..

في بئر لا قرار لها ..

وفجأة ، توقّف السقوط ..

وكان ذلك في زمن آخر ، ومكان آخر ..

كان في هذه المرة قائدا رومانياً ، يَغْبُرُ رَذَّةَ قصر مُنيف ،
ليقف أمام عرش ضخم ، يجلس فوقه رجل بدين ، يضع فوق
شعره الأشقر الذهبي إكليل الغار ، وسمع نفسه يقول في
صوت جَهْوَريّ قَوِيّ :

— تحية لـ (نيرون) العظيم ..

إنه إذن أمام (نيرون) ..

(نيرون) الروماني الوحشي ..

نيرون الذي أحرق (روما) (*) ..

إنه أحد قواده ..

(*) (كلاوديوس قيصر نيرون) : (٣٧ — ٦٨ م) ، إمبراطور
روماني ، تبناه الإمبراطور (كلاوديوس) بعد أن أغرتة زوجته
(أجريينا) ، على ذلك ، ولقد خلف (نيرون) أباه المتبنى ، على عرش
(روما) ، واتسم عهده بالوحشية والقسوة ، ولقد قتل أمه وزوجه
(أوكتافيا) ، تحت تأثير عشيقته (هوبايا ساينا) ، وبعدها حرق روما
(٦٤ م) ، واتهم المسيحيين بحرقها ، وبدأ في اضطهادهم ، وفي أواخر
أيامه ، ثار حكام ولاياته ضده ، ففرّ إلى منزله الريفّي ، وانتحر هناك .

كم ودّ لو بصق في وجهه ، ولكن مسار التاريخ كان يجبره
على أن يقول :

— ألف تحية لإمبراطورنا العظيم .

رفع (نيرون) كفه البضة ، لردّ تحية قائده ، في تكاسل
وغطرسة ، وقال في صرامة :

— اسمع يا (ديوس) .. أبلغني مستشاري المختص
(ساينا) ، أن المسيحيين يثيرون الكثير من الاضطرابات في
(روما) .

قال (نور) في قوّة :

— مخطئ هو (ساينا) ، لو أنه يظن ذلك .. المسيحيون
قوم مسالمون للغاية ، ودينهم يحضّ على ذلك .

التفت (نيرون) إلى جواره ، وقال :

— ما رأيك يا عزيزي (ساينا) ؟

برز من خلف العرش شابّ وسيم ، ذهبي الشعر ، لم تكد
عينا (نور) تلتقيان بعينه الناريّتين ، حتى اعتصرت قبضته
مقبض سيفه في قوّة ، وكاد ينتزعه من غمّده ..

لقد كان (ساينا) هذا هو (ابن الشيطان) ..

وفي لهجته الساخرة ، قال (ساينا) :

— قول قائدنا العظيم (ديوس) يخالف ما لدى من
معلومات أيها الإمبراطور العظيم ، ويخالف أيضًا
ما جلبته لك ابنتي المحبوبة (هوييا) ، من أن المسيحيين قوم
أشرار .

وجد (نور) نفسه يهتف :

— لا تستمع إليه يا مولاي .. إنه كاذب .

ابتسم (ساينا) في سُخرية ، على حين هتف (نيرون) في
غضب :

— كيف تُتهم مستشاري الأول بالكذب أيها القائد ؟

استلَّ (نور) سيفه ، وهو يهتف :

— لأنه كذلك بالفعل .

وفجأة ، اهتزَّ المشهد ، وتلاشت الصُّور ..

وفجأة أيضًا ، وجد (نور) نفسه في مشهد آخر ..

كان يقف مع (نيرون) و (ساينا) ، في شرفة قصر هذا
الأخير ..

وكان (ساينا) يقول للإمبراطور ، وهو يشير إلى
(روما) .

— احرقها يا مولاي .. احرقها وألهم المسيحيين بحرقها ،
فتمتلك الحُجَّة لتُكَلِّمهم شر تنكيل ..



كم ودَّ لو بصر في وجهه ، ولكن مسار التاريخ كان يجبره على أن يقول :
— ألف تحية لإمبراطورنا العظيم .

صاح (نور) في غضب :

— خَسِيتَ يا (ساينا) .. إنك تسعى لتدمير (روما) ،
انتقاماً من فشلك فيها ، ومن سُخرية أهلها منك ، ومن ابتك
العاهرة .

حافظ (ساينا) على ابتسامته الساخرة ، على حين هتف
(نيرون) في غضب :

— صَـة يا (ديوس) .. مَنْ سَمَحَ لك بإهانة مستشاري
الأول ، وسَبَّ أفضل نساء قصرى أمامي ؟
هتف (نور) :

— مولاي .. هذا الرجل شيطاني .. إنه يسعى لدفعك إلى
الجحيم ، حيث يتلقفك والده ظافراً ..
هتف (نيرون) مُحَنِّقاً :

— أَى هَـراء هذا يا (ديوس) ؟ .. هل عاودتك تلك
الأوهام ؟ ..

راحت الكلمة الأخيرة تتكرر طويلاً ، كرجع الصدى ،
والمشهد يتبدل في سرعة ، حتى تألق بنيران متأججة ، يُطَلِّ
عليها (نيرون) من شرفة قصره ، وهو يعزف على قيثارته في
هدوء ، وإلى جواره (ساينا) يتسم في ظفر ..

لقد كانت (روما) تحترق ..

وفي غضب ، هتف (نور) :

— لقد فعلتها يا (ساينا) .. فعلتها .

وانقضَّ على (ساينا) ، وحمله عاليًا ، وهو يهتف :

— فلتشارك (روما) هيبها إذن ..

ودوَّت صرخة مخيفة في أذني (نور) ، وعاد يَهْوِي في تلك
البئر السحيقة المظلمة ، التي لا قرار لها ..
ومرَّة أخرى ، توقَّف السقوط ..

وفي هذه المرَّة كان المشهد الجديد عبارة عن قاعة أنيقة ..
قاعة اختفت جدرانها خلف عدد من الخرائط المتعددة ،
باللغة الألمانية ..

وكان (نور) يقرأ تفاصيل الخرائط في بساطة ..
في كل مشهد كان يتحدث لغة أهل المشهد والعصر
بسلاسة ، كما لو كان واحداً منهم ..

وفي هذه المرَّة كان يرتدى زياً عسكرياً ألمانياً ، وإلى جواره
وقف شاب أشقر ذهبي الشعر ، يطلُّ من عينيه هيب مستعر ،
وإلى جوارهما وقف رجل قصير ، له نظرات حادة مركزة ،
وشارب قصير صغير ..

كان (أدولف هتلر) بنفسه (*) ..

وكان يشير إلى نقطة على الخريطة ، قائلاً في صرامة :

— هل تعتقد أنه من الضروري أن نهجم (روسيا) ،

يا عزيزي (جوبلز) ؟

كان يوجّه حديثه إلى الشاب الأشقر ، الذي لم يكن سوى

(ابن الشيطان) نفسه ، والذي قال مبتسمًا :

— بالطبع أيها الفوهرلر ، فالرُوس يرفعون درجات

استعدادهم في الفترة الأخيرة ، وما داموا لا يتوون خوض

الحرب في أوروبا ، فهذا يعني أنهم يُعدّون العُدّة لغزونا ،

والأسلوب الأمثل ، الذي ابتدعته فخامتك ، هو أن الهجوم

خير وسيلة للدفاع .

أوماً (هتلر) برأسه موافقًا ومستحسنًا ، فعقد (نور)

حاجبيه ، وهو يقول :

(*) (أدولف هتلر) : (١٨٨٩ — ١٩٤٥ م) ، دكتور ألماني ،

وزعيم الحزب النازي ، ومؤسس الرايخ الثالث .. اشترك في الحرب

العالمية الأولى ، ثم نظم الحزب النازي (حزب العمال الألماني الاشتراكي

الوطني) ، وأصبح رئيسًا للوزراء في يناير (١٩٣٣) ، ثم رئيسًا

للجمهورية (١٩٣٤) ، وانتهت سياسته إلى إشعال الحرب العالمية

— خطأ أيها الفوهرلر .. الرُوس لا يفكّرون قط في

مهاجمتنا ؛ لأن قوّتهم ، على الرغم من استعداداتهم ، لم تبلغ

بَعْدُ الحدّ الكافي لذلك ، والأفضل أن نبادر بمهاجمة

(بريطانيا) ، بعد أن خسرت معظم أسطولها البحري ،

بفضل غواصاتنا ، وأصبحت أضعف من أن تصد غزوّا

مركَزًا منا .

لُوح (جوبلز) بذراعه ، هاتفاً :

— وماذا لو أن الرُوس قد هاجمونا ، ونحن ندير ظهورنا

لهم ؟.. كلاً .. الأسلوب الأمثل هو أن نباغت الرُوس ،

ونأمن جانبهم أولاً .

هتف (نور) :

— ولماذا نوقظ دُبًّا نائمًا ؟.. إننا نرتبط مع الرُوس ، حتى

الآن ، باتفاقية دفاع مشترك ، و.....

قاطعه (هتلر) في حزم :

— كَفَى يا (هانز) .. إنني أميل إلى رأي (جوبلز) ..

سنهاجم (روسيا) أولاً ، وسنطلق على حُطّة غزوها اسم

(بارباروسا) ، و.....

وتشوشت الرؤية ، وتلاشت الأصوات تدريجيًا ..

ثم برز (نور) في مكان آخر ..

كان يجلس حول مائدة خشبية مستديرة ، مع خمسة من الجنرالات ، داخل حجرة صغيرة ، سيئة التهوية ، وكان أحدهم يقول في غضب :

— هذا المجنون سيُودى بنا .. أرايم ما فعله في (روسيا) ؟ .. لقد أمر جيشنا هناك بإيقاف القتال ، بعد أن صاروا على مسافة ستة كيلومترات من (موسكو) ، ولقد منعهم من دخول العاصمة الروسية ، على الرغم من أن الشتاء على الأبواب ، ولولم يدخل رجالنا (موسكو) الآن ، فسنخسر الحرب كلها .

غمغم (نور) :

— هذا صحيح .. سنخسر الحرب لهذا السبب .

التفت إليه أحد الجنرالات ، وقال مُخَنَّقًا :

— أتعلم أن ذلك الملعون (جوبلز) هو السبب ؟ .. يقولون إنه هو الذي يشير إلى القوهر بكل شيء ، وهذا المجنون يثق في آرائه بشدة .

ضرب جنرال آخر المائدة بقبضته ، وهو يقول في صرامة :

— لا بد من اغتيالهما معًا .

صاح ثالث في مرارة :

— كيف ؟

قال الجنرال الأول في حماس :

— إنهما سيجتمعان معًا غدًا ، في دار المستشارية ، ولو أننا دسنا قبلة زمنية هناك ، فقد يمكننا التخلص من كليهما بضربة واحدة .

حاول (نور) أن يخبرهم أن تلك الحُطّة ستفشل ، كما ذكرت كتب التاريخ ، إلا أن دافعًا قويًا جعله يصمت ، وقد أدرك أنه ما من فائدة من محاولات تغيير التاريخ .. وفجأة ، سمع أحدهم يهتف :

— (هانز) سيحضر ذلك الاجتماع أيضًا .

التفت العيون كلها إليه ، وقال أحد الجنرالات في دهشة :

— أحقًا ؟ !

غمغم (نور) :

— نعم .. سأحضر الاجتماع ، وسأحمل القبلة معي ، ولكن

هتف أحدهم في غضب :

— ولكن ماذا ؟

تنهّد (نور) ، وقال :

— لا شيء .. سأنفذ ما تتفقون عليه .

ومرّة أخرى تلاشت الصُّور ، وخفتت الأصوات ..

ومرّة أخرى أيضًا ، عادت صورة جديدة تتكوّن ..

كان (نور) هذه المرّة داخل زنزانة رطبة باردة ، يرتدى

أثمالًا ، كانت ذات يوم زياً عسكرياً أنيقاً ..

وعُبرَ قضبان زنزانه ، رأى (جوبلز) يقترب ، ويتطلّع

إليه ساخرًا ، بعينه الشيطانيّتين الناريّتين ، ثم يشير إلى

الحارس ، فيسرع هذا الأخير بفتح باب الزنزانة ، حيث يدلف

(جوبلز) ، ويتسم في شماته ، قائلاً :

— ها نحن أولاء نلتقي مرّة أخرى يا عزيزى (هانز) .

قال (نور) فى حِدّة :

— وفى زمن جديد هذه المرّة .

أطلق (جوبلز) ضحكة ساخرة ، وقال :

— ولكن فى هذه المرّة انتصرت أنا يا عزيزى (هانز) .

ثم أخرج مسدّسه ، وصوّبه إليه ، مستطرّداً فى سُخرية :

— لقد أمرنى الفوهرل بإعدامك فى زنزانتك .

قال (نور) فى غضب :

— إنك تقود فوهرلك هذا إلى حتفه ..

أطلق (جوبلز) ضحكة ساخرة أخرى ، وقال :

— بل إلى الجحيم .. إلى حيث ينتظره أبى .. إلى حيث

ستذهب أنت وضغط زنّاد مسدّسه ..

وأطلق النار على رأس (نور) ..



٩ — الهزيمة ..

قفز (نور) ليتفادى رصاصة (جوبلر) ، ولكنه وجد نفسه يَهْوِي في تلك البئر العميقة ..

وَيَهْوِي ..

وَيَهْوِي ..

وبدا له أنه يسقط هذه المرة بلا نهاية ..

ثم أتت النهاية بغتة ..

أتت بسقوطه على أرض منزل الدكتور (عزيز) ..

لقد عاش أخطر رحلة وهم في حياته ..

رحلة عَبَر فيها كل الأجساد ، التي احتلتها روحه ، في

حيوات سابقة ..

وهتفت (سلوى) في لوعة :

— (نور) .. أنت بخير .

أشار إليها الدكتور (عزيز) في صرامة ، قائلاً :

— اتركه .

تراجعت مستسلمة ، وإن انفطر قلبها حزناً ، وهي تتطلع إلى سُحُوب وجهه ، قبل أن يرتفع صوت ساخر ، من كل جدران المنزل ، يقول :

— ما رأيك الآن يا حفيد (أوزيريس) ؟

غمغم (نور) في إعياء :

— حفيد (أوزيريس) ؟! .. إننى لم أعُد أدري حتى مَنْ أنا .

رَدَّدَت الجدران ضحكة (ابن الشيطان) الساخرة ، قبل أن يقول :

— هل تعرف الآن بتفوقى ؟

غمغم (نور) في تهالك :

— لم أعُد أملك سوى ذلك .

هتف الشيطان الابن في ظفر :

— إذن فأنت تعرف بانتصارى .

غمغم (نور) :

— نعم .. إننى أعترف .

وهنا رَدَّدَت الجدران صيحة هائلة ، انتزعت الجميع من أماكنهم ، وألقتهم أرضاً ، مع رياح ساخنة مخيفة ، وزوبعة من

الرمال الكثيفة ، دارت وسط الحجرة في قوّة ، قبل أن تنقشع ، ويظهر هو ..

ظهر (ابن الشيطان) ..

تجسد أخيرًا أمام خصومه ..

وفي هذه المرّة ، كان يشعر بمزيد من القوّة ..

كان يرتدى رداء الشمس ، الذى يحجب عنه النيران ،
مهما بلغت قوتها ، ومهما استغرّ لها ..

وفي شماته ، عقد ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

— الآن فقط ستموت أيها الآدمى .. الآن فقط ستلحق
بأجدادك ، بعد أن ذقت الهزيمة ، على يد (ابن الشيطان) .

أطلق (نور) ضحكة ساخرة عالية ، أدهشت الشيطان
الابن ، فراح يصرخ في غضب :

— الآن ستموت .. ستموت .

ثم اتجهت يده نحو كفى (نور) ، الذى توقّف عن
ضحكاته الساخرة بغتة ، يقول متهمًا :

— ألا ترغب حتى معرفة سرّ ضحكاتى ؟

هتف الشيطان الصغير :

— كلاً .. لم يعد ذلك يهمنى .

نهض (نور) في هدوء ، وقال بابتسامة ساخرة :
— عجبًا !! .. ولكن هذا يقلب كل موازينك رأسًا على عقب .
تردّد (ابن الشيطان) لحظة ، وأعاد كفيه إلى جواره ، ثم
عاد يرفعهما ، هاتفًا :

— أنت تحاول أن تخدعنى .

أطلق (نور) ضحكة ساخرة قويّة ، وهو يقول :

— ولكننى خدعتك بالفعل .

هتف (ابن الشيطان) في غضب :

— لا تحاول .. لقد هزمتك .

عقد (نور) حاجبيه بغتة ، وهو يقول فى صرامة :

— أخطأت أيها الحقير .. بل أنا هزمتك .

هتف فى غضب :

— أنت !؟ . أنت تهزمنى ، أيها الآدمى !؟

قال (نور) فى حزم :

— نعم أيها الجهنمى .. نعم يا مبعوث الجحيم .. أنا

سأهزمك ، مثلما هزمك جدّى ، ومثلما هزمك كل

أجدادى .. لقد كنت أعلم أنك ستعود .. وأنت ستواجهنى

حتمًا ، عندما تتصوّر أنك قد هزمتنى .

صرخ (ابن الشيطان) :

— هذا ليس مجرد تصوّر .. لقد هزمتك بالفعل .

قال (نور) في صرامة :

— على العكس أيها الحقير .. أنا هزمتك ، عندما أجبرتك على الظهور أمامي .

أشار (ابن الشيطان) إلى ردائه الذهبي ، صائحاً :

— أنت أعمى يا حفيد (أوزيريس) ، أم أن أمر هذا الرداء لم يبلغك بعد ؟ .. إنه رداء نادر خاص يتيح لي السباحة في قلب الشمس نفسها ، دون أن يمسنني سوء .

ابتسم (نور) في سُخرية ، وقال :

— وهذا ما أخطأت فيه أيها الوغد .

غمغم (ابن الشيطان) في اضطراب :

— أخطأت !؟

أجابه (نور) في سُخرية :

— نعم .. أخطأت .

ثم اعتدل ، مستطرداً في حزم :

— لقد كنت مهزماً طيلة الوقت ؛ لأنك كنت تلعب بقواعدك التي تتحدّى كل معلوماتنا ، وكل قواعدها العلمية ، وكان هذا يمنحك نقطة تفوّق بالغة القوة ، فأنت تفهم كل أسلحتنا ، على حين نجهل نحن كل أسلحتك .

وابتسم ابتسامة ساخرة ، مستطرداً :

— ولكنك فجأة ، وحتى تستطيع مواجهة في لحظة

هزيمتي ، وحتى تمنعني من إطلاق النيران عليك ، لجأت إلى اختراع أرضي قبح ، وفي هذه الحالة ، أعدت أنت إلينا زمام القوة ، وانتقلت لتكمل المباراة في ملعبنا ، وبقواعدنا نحن ، وفي ظل هذه الظروف أصبح نحن الأقوى .

ومال نحوه ، مردفاً بمزيد من السُخرية :

— صحيح أنك ترتدي زياً لا تحترقه النيران أبداً ، ولكن

في عصرنا هذا ، ومع تقدّمنا التكنولوجي ، لم تعد النيران هي الوسيلة الوحيدة للإحراق .

اتسعت عينا الشيطان الابن في هلع ، وهو يقول :

— ماذا تعني ؟

رفع (نور) يده ، وهو يقول في صرامة :

— أغني هذا .

ثم هبط بيده في حزم ، فضغطت (سلوى) زرّ جهاز صغير ، وانطلقت في الحجرة صرخة مدوئية ..
صرخة شيطان يحتضر ..

١٠ - الختام ..

اندلعت ألسنة اللهب داخل رداء الشمس ، واتسعت عينا
الشیطان الابن هلعًا وألمًا ، وراح يصرخ :
— كيف ؟ .. كيف فعلتها ؟

أشار (نور) إلى الجهاز الصغير ، الذى ضغطت
(سلوى) زرّه ، وهو يقول فى هدوء :

— الموجات فوق الصوتية فائقة التردد أیها الوغد .. إنها
تتحرق كل شىء ، وترفع درجة اهتزازاته ، إلى درجة
الاحتراق .. إنها تستخدم بكثرة فى عصرنا هذا ، فهم
يستخدمونها لحفر الآبار والمناجم ، ولإشعال النيران ، وحتى
لعلاج بعض أمراض المخ ..

كان اللهب يلتهم الشیطان الابن فى سرعة ، على حين
صمت (نور) ، وصمت الجميع ، وهُم يتطلعون إلى عینی
الشیطان الصغير ، وقد خبا لیهما ، قبل أن يستطرد (نور) :
— أنت قتلت نفسك .. أعماك الله (سبحانه وتعالى)

عن رؤية الحقائق .. أنت تخلّيت عن قوتك ، ومنحتنا قوتنا ..
لقد أدركت هدفك تمامًا ، بعد أن علمت بأمر مهاجمتك
لمؤسسة الأبحاث الفضائية ، وسرقتك لرداء الشمس ، ولقد
استخدمت (سلوى) كل المعلومات عن (رداء الشمس) ؛
لتدفع جهازها إلى إطلاق ذبذبة خاصة ، قادرة على حرق
جسدك ، بعد اجتيازها الرداء ..

اتسعت عينا (ابن الشیطان) فى مرارة وألم هائلین ،
و (نور) يستطرد :

— لقد خسرت أیها الشیطان الصغير .. خسرت كل
معاركك ..

هتف الشیطان الابن فى ثورة :

— سأعود .. سأعود .

ثم خبا اللهب ، وسقطت حلّة الشمس ، وتكوّمت خالية
على الأرض ، فاتجه إليها (نور) ، وانحنى يلتقطها ، ثم فتحها ،
والتقط من داخلها ذلك القرص المعدنى الملعون ، ودسّه فى
جيبه ، وهو يتسم قائلًا :

— أخطأت هذه المرّة أيضًا أیها الملعون .

ثم اتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

— فى هذه المرّة لن تعود .

وأدار عينيه في عيون الجميع ، قبل أن يُردف في حزم :
— لن تعود أبدا ..

ابتسم الدكتور (عزيز) ، وهو يتناول قطعة كعك
مزدانة بالحلوى ، من بين أصابع (نور) ، قائلاً :
— فكرة طريفة أن تعيد حفل الاحتفال بشفاء زميلك ،
بعد القضاء على ذلك الملعون يا ولدى .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :
— بل هو حفل التخلص منه فحسب .

قال الدكتور (حجازي) في قلق ، وهو يتطلع إلى رفاق
(نور) ، الذين انهمكوا في حوار مرح :
— ولكن ألا يحتمل أن يعود مرة أخرى يا (نور) ؟
قال (نور) في مَرَح :

— الاحتمال لن يتجاوز الواحد في كل مائة مليار .

هتف الدكتور (حجازي) في دهشة :

— كيف ؟ ؟ .. إن وجود ذلك القرص الملعون ، في أية
نقطة على سطح الأرض ، يجعل العثور عليه ممكناً ، وبالتالي
يجعل عودة ذلك المخلوق البشع محتملاً .

ضحك (نور) ، وهو يقول :

— اطمئن يا سيدي .. لن يعود .

ثم التفت إلى رفاقه ، هاتفاً :

— استمعوا إليّ يا رفاق ، سنشاهد معاً الآن حدثاً
جللاً .

وفتح الشرفة على مصراعيها ، ثم أشار إلى السماء ،
قائلاً :

— أترون تلك النقطة المضيئة ، التي تبعد هناك ، وتنطلق
نحو النجوم ؟

قال (رمزي) :

— نعم .. نراها يا (نور) ، وأنا شخصياً أعلم ما هي ،
فهى عبارة عن قمر صناعي جديد ، يحمل آلة تصوير كونية
نادرة ، ومهمته هي أن ينطلق نحو أقرب ثقب أسود مجرتنا ،
ويخرقه ، لينقل ما يحدث خلفه .

ابتسم (نور) ، قائلاً :

— هذا صحيح .. ولكن .. أتعلم كم تبلغ احتمالات
عودته ؟

أجابه (محمود) هذه المرة ، قائلاً :

— أظنّها واحداً إلى كل مائة مليار يا (نور) .

لم يكّد الدكتور (حجازى) يسمع الرقم ، حتى هتف :

— يا إلهى !!.. (نور) .. أكنت تقصد هذا ؟

هتف (نور) فى مَرَح :

— نعم أيها السادة .. لقد أصبح القمر الصناعى يحمل آلة

التصوير الكونية ، بالإضافة إلى ذلك القرص الملعون ، الذى

سينتقل مع شروره إلى ما وراء الثقب الأسود ..

وتهلّلت أساريه ، وهو يستطرد فى سعادة :

— وبهذا تنتهى تلك الجَوْلَة .. جولة الشيطان الأخيرة ..

فى تلك الليلة ، استغرق (نور) فى نوم عميق ..

نوم لم ينعم به منذ بدأ ذلك الصُّراع الرّهب ..

وفى تلك الليلة رأى نفسه يسير فى منزل جدّه الريفى ..

ورأى نفسه يدلف إلى حجرة المكتب ..

وفى هذه المرّة لم تكن الحجرة خالية ..

كانت مرّبة أنيقة ..

وكان هناك مكتب ضخّم ، من طراز أثرى عتيق ..

وخلفه كان يجلس جدّه ..

وبابتسامة مشرقة ، نهض الجدّ بصافحه ، وهو يقول فى

صوت عميق :

— مبارك يا ولدى .. لقد انتصرت عليه .

غمغم هو فى حُلْمه :

— أنت صاحب الفضل فى ذلك يا جدّى .. أنت قدّنتنى

إلى الحلّ ..

ابتسم الجدّ ، وهو يقول :

— بل أنت المنتصر يا ولدى .. لقد منحتك أنا السلاح

فحسب ، ولكنك أنت استخدمته فى براعة قادتك إلى

النصر .

سأله فى قلق :

— ولكن قلّ لى يا جدّى .. أتظنّ أنّه سيعود ؟

هزّ الجدّ رأسه نفياً ، وهو يقول :

— كلاً يا حفيدى .. ليس فى حضارة الأرض الحالية .

هتف فى دهشة :

— حضارتها الحالية ؟!.. أكانت هناك حضارات

سابقة ؟!

ابتسم الجدّ ابتسامة واسعة ، وقال :

— لا تبحث عن كل أسرار الكون دفعة واحدة
يا ولدى .. هيا .. عُد إلى فراشك ، وانعم بنومك ، فأنت
اليوم منتصر ..

نعم .. لقد انتصر (نور) ..

انتصر للبشرية كلها ..

وفاز ..

فاز في حربه مع (ابن الشيطان) ..

فاز في (الجولة الأخيرة)

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥

المؤلف



د. نبيل فاروق

الجولة الأخيرة

- ماذا يفعل (نور) ورفاقه ، في مواجهة كل الأخطار ، التي يحاربهم بها (ابن الشيطان) ؟
- كيف يواجه فريق علمي ، عدوًا ، يتجاوز كل حدود العلم ؟..
- ترى .. من يتصدر في الجولة الأخيرة ، (نور) وفريقه ، أم (مبعوث الجحيم) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ؛ لترى كيف تكون النهاية في (الجولة الأخيرة) .

